أميرة الفاوي

مشكلة إلهية

رواية

obeikan.com

الكتـــــــاب: مشكلة إلهية
المـــؤلـــــف: أميرة الفاوي
تصميم الغـــلاف: مروة فتحي
المراجعة اللغوية: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

رقـــم الإيـــداع: 2017 / 3684
الترقيـم الدولـي: 978 - 977 - 779 - 160 - 1
الإخـراج الفنـــي: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: 40 ش محمد فريد، وسط البلد، القاهرة
هاتف: 0227931911 - موبايل: 01001631173
الموقع الإلكتروني: www.prints.ibda3-tp.com
البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com

obeikan.com

أميرة الفاوي

مشكلة إلهية

رواية

obeikan.com

obeikan.com

الإهداء

أهدي اول أبنائي إلى الله

إن تقبلته بقبول حسن فهو أغلى ما عندي إلى أغلى من عندي، وإن لم تتقبله فاعتبره من إحدى زلاتي التي تغمدتها برحمتك.

وكان آخر كلامها ..

ربِّ إني نذرت لك ما كتبت محررًا فتقبل مني.

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الأول

الإسكندرية، شاطئ بحر المندرة، الأول من مارس ٢٠١٥، الساعة الخامسة مساء...

هي الأمواج شُيعت لمثواها الأخير على الرمل، وسرعان ما توفى البحر إثرها وبدا الزبد كفنا أبيض مريحا.. أحست أن الكون أصبح عليلا مثلها.. كأن أطباء العالم اجتمعوا عليه بحقن الموروفين وأسكنوا كل ما فيه.. أغمضت عينيها كأي لحظة فريدة تريد أن تذوب بها... يتأملها من بعيد.. يُمعن النظر إليها وهي منهمكة في قراءة كتاب ما ولا تدري بما حولها.. يتابع في صمت.

طالما تمنى أن يلتقي حكيما يروي له كل شيء ليسمع منه جملة – لا تطول عن عبارة واحدة – فيها الحل لكل شيء !!

يطرد الفكرة عن رأسه ويقول في نفسه ساخرا:

"أتعتقد أن هذه الفتاة هي ضالتك المنشودة؟ ثم إنني أريد حكيما وليس حكيمة!"

واستطرد:

"إنها صغيرة جدا على أن تختصر حياتي في جملة فيها المواساة والعظة والحل معا!

لعن الله الغريزة! هكذا النساء يفسدن كل شيء على الرجل، حتى ولو لم يتفوهن بحرف! حسنا سأذهب وأحدثها! وليقضي الله أمرا كان مفعولا!".

تعثرت خطاه.. الرمل بثقلها خيل إليه أنها تقول: إهدأ.. إتئد.. أما كفاك طيشا واندفاعا؟؟ تجاهلها ليحمس نفسه واثقا:

"لا خير في رجل لا يعدو وراء جنونه!".

اقترب ناحيتها بفضوله المثير... كان طويل القامة.. عريضا بلا سِمنة.. وسيما بكل ما تحمله الكلمة من ضعف النساء.. أخذ كرسيا فارغا بدون أن يسأل حتى عن صاحبه ووضعه بجانبها قليلا..

نظرت إليه نظرة تخطت سرعة الضوء بمراحل وأكملت قراءة كأن الوضعَ طبيعي للغاية!

شجعته نظرة البرق هذه ففتح حديثا بديباجة معتادة عفى عليها الزمن ولم تتأثر أبدا!

- الجو رائع اليوم.

نظرت إليه نظرات شاردة:

- نعم؟

obeikan.com

رد على الفور:

- كنت أقول أن الجو رائع اليوم...

قالت بابتسامة لطيفة:

- الجو أكثر من رائع فعلا، لكنه يبعث على السأم!

فرح في داخله كثيرا لأنها لم تصده أوعلى الأقل لم تضعه في خانة المتحرشين.. قال بحماس حقيقي:

- إذن ما رأيك في أن نفعل شيئا لم يفعله أحد منا في حياته من قبل؟

- مممممم، لقد جربت كل شيء.

- لا، ليس صحيحا!

فكر قليلا ثم اندفع قائلا:

- هل حضَّرتِ جنيا من قبل؟

كاد أن يخلق دهشة بداخلها لكنها تراجعت على الفور وتظاهرت بلا مبالاة تبدو حقيقية:

- لا، لم أفكر حتى في الأمر يوما!

- إذن هيا بنا؟؟

- لا... عرضك مرفوض!

obeikan.com

ثم ابتسمت ابتسامة مغلقة تماما...

يضحك ملء شدقيه ويحاول استفزازها:

- لستِ مختلفة، جميعكن سواء... جبانات! عاشقات لكل ما هو تقليدي حتى المتفردة منكن...

ثم مال برأسه ناحيتها قليلا قائلا بخبث ضاحك:

- أو التي ظننتها هكذا...

تنتصب واقفة ثم ترمقه بنظرة ضاحكة وهي تمشي:

- فقط لا أريد أن يؤرق وحدتي!

******

لم ينهض "أحمد" ليلحق بها كما توقع قلبه!

ثقل جسده على الكرسي...

تراخت روحه الثائرة بهزلية مخيفة ثم ردد جملتها ساخرا "فقط لا أريد أن يؤرق وحدتي!"

ثم كز على أسنانه سائلا:

"لماذا لم أُمنح سرعة البديهة مثلها لأجيب فورا:

فقط اذهبي للجانب الآخر من البحر لتعرفي كم كنتِ أنتِ التي تؤرقين

obeikan.com

وحدتي! لكنها كانت جميلة! قمحية البشرة، أنفها دقيق ذو أرنبة مرتفعة قليلا، عيناها بندقية اللون أهدابهما سوداء كثيفة، ذات شعر أسود كالح يهب شذرات من نسيمه من أمام طرحة خفيفة تغطي الرأس... كانت تمتلك ذاك الجمال الذي لا يعلن عن نفسه صراحة وإنما يتوارى خلف مشجب العمق البسيط الممتع للعقل والعين والقلب معا..

تماما كالقصيدة التي تقرأها على صفحات "الفيس بوك" لا تفهم منها شيئا ولا تثير في نفسك أية متعة لكن عندما تقترب منها أكثر... تعطي نفسك فرصة الإصغاء إلى صوتها الصامت جيدا.. تضفي عليها مخزونك الحسي والمعرفي فيصبح لها شأن آخر".

وفجأة تغيرت نبرة الحديث مع نفسه بجدية:

"لن يتغيرن ولو قرأن في اليوم ألف كتاب! حقوق الطبعة الشرقية محفوظة!! عقال يربطن به خلايا التفكير لديهن.. لابد أنها تؤمن إيمانًا قطعيا بأنها لو نهضت وتركتني سأحترمها أكثر وأنظر لها نظرة الرجل الباحث عن الحب الحلال والزوجة الصالحة!

ألا لعنة الله على الحب الحلال! لا أدري على وجه الدقة ما سر غباء تلك الكلمة؟ أكاد أجزم أن لفظة الغباء نفسها لا تحوي بداخلها هذا الكم من السطحية والسذاجة!

إن كل حب لو صدق طرفيه في الأساس هو حب حلال.

لماذا يعممن تجاربهن الفاشلة على كل الرجال؟ لو انتقمت كل امرأة من الذي أذاها (فقط) لتجنبنا كثيرا من الألم.

لم تفهمني امرأة هنا ولهذا أستهين بهن وأتحاشهن في اليوم ألف مرة ولا أعلم من أين يتسربن إلى قلبي وأنا أتمم كل يومٍ بيدي على منافذ القلب المتخمة باليأس؟!

لعن الله الغريزة ولعنني معها!".

******

"لكني أريد أن يؤرق وحدتي!" هكذا علق قلبها.

ردت روحها بعزم صادق: "لكن وقودي انتهى".

أسرعت في الخطى، وانتهت معركة شديدة بين الرمل وقدميها عند أول نقطة على الرصيف الخارجي الملاصق لبوابة الخروج بفوزها أو بهزيمتها لا تدري!

أقنعت نفسها جاهدة أنه لم يحدث شيئا يستوجب الاكتئاب والهم...

تسائلت في نفسها بعصبية مكبوتة:

"كيف يمكن أن يكمل المرء حياته بصورة سوية إذا أصبحت كل تفصيلة مهما تضائلت في الصغر تثير شجونه وضيق صدره؟؟

لم يحدث شيئا يستدعي الخروج من الشاطئ خصوصا إنه لم يطاردني أو

opeikan.com

يحاول حتى أن يزعجني بعدها بأي شيء! لماذا أهرول من الحزن بكل ما أوتيت من محاولة ويطلبني حثيثا بكل ما أوتي من عزيمة؟!

لعن الله الحزن التافه ولعنني معه!"..

ثم ركبتُ "الميكروباص"...

الطريق طويل بين بيتها والشاطئ لكنها تتعمد الذهاب إلى ذلك الشاطئ بالذات.. فقط كي تتوهم قصدا أن هذا المكان هو آخر الدنيا!! رغبة دفينة تتسلط عليها فتصمت طويلا وتنزوي بنفسها إلى أعماق الأسئلة الكاملة التي تكتفي بذاتها ولا تتطلب وجود إجابات عليها أو كما يسميها المثقفون الأسئلة الوجودية التي كان من أبسطها وأعمقها في نفس الوقت...

أهذه هي الحياة؟؟ ما الهدف من كل هذا؟؟؟ لماذا خُلقنا؟؟ وإذا لم يكن كل ما حدث هو العبث بعينه فما هو إذن؟؟؟

تخجل تلك الرغبة الدفينة أن تناقشها بجدية في الانتحار، فتتصرف بحرية موارِبة وتملي عليها أن تذهب حالا إلى آخر الدنيا.

وصلت إلى بيتها في الشاطبي ولا أحد يعلم على وجه الدقة كم حادثة وقعت في طريق عقلها المهترئ تفكيرا منذ أن خرجت من بوابة الشاطئ وحتى وصلت إلى باب البيت... ألقت ثيابها دون اكتراث على السرير، سألتها والدتها السؤال الذي عفت عليه كل الأزمنة ولم يتأثر أيضًا:

- هل أتيتِ يانانسي؟؟

obeikan.com

أومأت برأسها، ثم دلفت إلى شرفتها الصغيرة تنظر إلى ما حولها بلا دقة كعادتها... وعلى غير عادتها... لفت نظرها الزجاجُ المفتت على الرصيف.. تحسسته بأعينها... كثيرا ما كان يشببها.. تركته ونهضت على مهل.. كانت تكره كل ما يذكرها بقلبها القديم.. ولجَتْ إلى غرفتها الصغيرة التي تحب كل ركن فيها، كل ركن ينطق بحالة مختلفة عن غيرها.. مكتبتها الصغيرة، سريرها الذي كان يشاركها فيه "ملك" أختها قبل أن تتزوج وتسافر مع زوجها إلى القاهرة، مكتبها الصغير الذي تكتب عليه خواطرها.

أطبقت عينيها برهة كأنما تريد أن تقول لنفسها كل ما تعلمته من بعض منتفعي دروس التنمية البشرية التي واظبت عليها مؤخرا:

الحمد لله

أنا بخير

أنا لا يؤثر فيّ أي شيء

أنا بخير

أنا لا يؤثر ف....

حبس دموعَها قلبُها لتقول بمنتهى الصدق المؤلم:

لا..... أنا لستُ بخيرٍ أبدًا.

******

opelkan.com

"كيف انقلب الحال في ليلة وضحاها؟؟"

جملة يرددها أحمد في نفسه منذ أن جاء من فرنسا إلى مصر خاسرا معظم أمواله في البورصة التي جازف فيها بكل ما يملك...

كان حبه لإيذاء نفسه وقتها يعميه عن كل شيء! مازال أحمد على نفس جلسته أمام البحر منذ أن تركته "نانسي" ومضت، ظل على هذا حتى التاسعة مساء... أحس ببرودة الجو تؤلم جسده الثابت بلا حراك، وعقله المتحرك بلا توقف.

ردد بحسرة:

"كنتُ أحيا مّلِكا!! زوجتي فرنسية جميلة... تلك المرأة التي يكفي أن يفوح عطرها فقط لتبتهج الدنيا، المرأة التي يكفي أن يقرأها العابث حتى يعرف أن هناك مائة ألف سبب للحياة...

لم يكن الربيع هو الذي تتفتح فيه الأزهار.. كان هي عندما تقول بلهجتها الرقيقة "أهمد" فتتفتح زهور قلبي بالحب وزهور عقلي بالأفكار والطموح ليس لها فقط بل للدنيا بأسرها.. كانت تلك المرأة الصادقة التي عندما تحب تحيل العالم كله هدية تضفي عليها عطرها وتقدمها لحبيبها دون توانٍ أو تردد... دون أية إحساس بالتضحية!!

كانت مسيحية كاثوليكية غير متدينة... وبالرغم من ذلك أيقنت فيما بعد أنها أكثر إسلاما مني!! انبهرت بأخلاقها التي تفعلها بفطرة سليمة دون أي

obeikan.com

قصد منها أو مدعاة للنفاق والتمثيل...

تناسينا ما كان مكتوبا في البطاقة وتعايشنا أجمل ما كتب في الديانتين من سلام وحب.. كنت أخجل من دعوتها إلى الإسلام؛ لأنه إذا كان يجب أن يدخل فيه أحد فهو أنا دون أية جدال.

أصبحتُ في ليلة وضحاها لغتي وأهلي ووطني الذي تركته ورائي بلا ذرة ندم.

******

(ولآخر لحظة قلبي أنا كان مفتوح...)

خلفية تبث ألحان الهزيمة التي تقطن كل ركن في غرفتها.. يروق لها أحيانا أن تفك عِقصة شعرها وترقص على إيقاع الخيْبة، لكنها الآن لا تقوى حتى أن تغلق هذا الصوت الدافئ الذي يذكرها بـ...

بمن؟؟

خيبات الأمل حينما تتعدى الحد المسموح به مسموح لك أن تكتئب بسعادة!! ومسموح لك أيضا أن تصاب بزهايمر مؤقت حتى لا تفقد أهم ما يميزك كإنسان.. عندما يصبح الاكتئاب لوحة فنية تجعلنا نتذوقها بكل حواسنا ولا تفصح هي بأية شيء. تعاتب الله صارخة بلا صوت:

لماذا أدخلتنا التجربة؟؟؟ كيف ومتى بالضبط نُصِبتْ الشِرَاك حولنا واستسلمنا بكل ما فينا؟؟؟

obeikan.com

كانت دائما ما تكره ذلك السؤال الذي يعقب كل درس بمنتهى الاستفزاز قائلا:

مالذي تعلمته من هذا الدرس؟؟

بالرغم من عدم قواها على فعل أي شيء، جلست على مكتبها، أمسكت أول ورقة وقلم قابلاها وبخط متقطع نزفت:

"تعلمتُ ألا أفرح كثيرا؛ لأن روحي فقيرة جدا لا تملك ثمن الأيام الكئيبة التي ستدفعها نظير ذلك".

وعلى غير عادتها ذيلت تلك الصفحة بكلمتين بدلا من إمضائها باسمها:

"لا تصدقوا أحدًا.. اكتبوا عني تلك العبارة".

******

يضحك بحزن ودموع عندما يتراءى له هذا المشهد أمام صفحة البحر تفصيليا كأنه حدث أمس ولم يمر عليه عامان...

- ما رأيك في الحجاب؟ سيصونك عن كل الناس و...

- تخلف وجهل ورجعية و...

- لا، لا أسمح لك بهذا، الحجاب من أساسيات ديني وهدفه نبيل هو.....

- أعرف هذا الكلام المحفوظ بدون أدنى تعقل! ما الفخر في أذية الناس تحت مدعاة حبهم والخوف عليهم؟ هذا على افتراض أصلا أن أي دين

obeikan.com

سماوي يدعو لمثل هذه الأفعال!!

- تتحدثين عن شيء بدون علم ثم تتهمين غيرِك بالتخلف والرجعية؟ لا أفهم من أين أتيتِ بتلك الأفكار أيتها المثقفة المتحضرة؟!

- أنا التي لا أفهم كيف يعيش الإنسان بلا ضمير ويعطي لنفسه الحق في التحكم في مصائر الناس وأرائهم؟ هنا في فرنسا لا نؤمن به إلا في الأفلام فقط.

- أين التحكم وفرض الأراء؟؟ أنا أسألكِ عن رأيك ولم أفرض عليكِ شيئا.. ألا تري أنكِ تعانين من فوبيا التحكم مثل الشرقيات اللاواتي تنتقديهن بالضبط؟ كان الأحرى - كما تفعلين دوما - أن تقرأي وتبحثي ثم تعترضي أنَّى شئتِ... لم أعهد منكِ هذا منذ قبل.

- أقرأ!! عن ماذا؟؟ عن الحجاب؟؟؟ أخلع عني إنسانيتي لأرتدي لباس الأذى وإلحاق الضرر بمن أختلف معهم، أذهب إلى شيخ أو قسيس يصنع لي عزائم شيطانية كي أضمن حبك للأبد أو أزيح الطريق عن من ينافسني في نهضة بلادي؟!!!

- عزائم شيطانية!!! أنا أتكلم عن الحجاب!!! أنتِ تقصدِين بالحجاب السحر والأعمال؟؟ هههههههههههههههههههههههه أنا أقصد حجاب الرأس... قطعة قماش تواري الشعر، ويصحبها لباس محتشم...

"حينها وقعنا على الأرض من الضحك على خطأ لغوي كارثي مني، ثم

قبَّلتها بعنف بالطريقة التي تحبها...

لُعِن "جوجل" و "الليسيه المصري" بكل لغات العالم!! بعد فترة لاحظتُ أكثر من مرة كلمة (حجاب) بأكثر من لغة في خانة البحث وذاكرة "اللاب توب" الخاص بها عندما استخدمته صدفة... وبعد فترة أخرى لاحظت أنها أصبحت أكثر احتشاما في ملابسها لكنها لم ترتدِ الحجاب وعندما سألتها بوضوح قالت:

- لم أبت الأمر بعد لكني مستريحة هكذا.

وأنا كنت مستريحا معها أي ما كانت".

******

أمسكت نانسي بورق آخر وهي تحاول أن تفسر ما بها من حيرة وقلق ومشاعر ليس لها أي تفسير... إخفاقات الماضي تجتمع بهواجس المستقبل تقودهما أحاسيس هلامية غير عقلانية لا تزيدها إلا شقاء وبؤسا واكتئابا... في فوضى عقلية عارمة أخذت تتساءل:

"هل أفقد اهتمامي بكل الأمور تدريجيا؟؟

إذا كانت الإجابة نعم، إذن فلماذا أفكر بالجن الوسيم؟؟ لماذا يتراءى لي طيفه كمن فقد ذاكرته، ويرى مشهدا معينا في حياته السابقة يتمنى لو يوقفه بيده حتى يتعرف عليه ويعيشه مرة أخرى بأدق تفاصيله؟

ما حالتي بالضبط؟؟ ماذا دهاني؟؟ هل أعاني من مرض نفسي نادر؟؟

obeikan.com

لست وحدي من لم تجد عملا بعد التخرج.. أهذا هو السبب اصلاً؟؟

بعد كفاح خمس سنوات في كلية الفنون الجميلة وإخفاقاتي المتكررة في الحصول على عمل يناسب طبيعتي الهادئة، وضوحي، بطئ، دقتي الشديدة في التعامل مع كل ما حولي، لا يوجد عمل في مصر يتطلب هذه المهارات.. إذن ماذا تفعل من على غراري و تحتاج فعلا للمال؟

يشعرني بالحقارة والذنب وجود من هم أحق بالاكتئاب مني!

تحايلت على طموحي وأفكاري، وامتثلت لنداء الأنوثة المُلِح بداخلي، ونداء والدتي الأكثر إلحاحا فتعرضت خلال سنتين فقط لخمس خطبات عادية متتالية، كانت الخطوبة الأخيرة بالذات بمثابة آخر أمل لي، وكالعادة تهشم الحلم فوق رأسي، لم أعد أحتمل أكثر من هذا...

هل كان الجني الوسيم سيدفع بي إلى حالة الشغف والتجديد التي ستغدق حياتي بالمتعة والإثارة؟؟

أم سيقضي على فتات الحياة التي مازلت أحتفظ بها في داخلي، والتي على الأقل تساهم في نهوضي كل يوم من على السرير لأتعايش غصبًا؟

لا أدري... كل ما يدهشني حقًا أن مجرد التفكير فيه يجعلني أحلم في وقت قد تناسيت فيه معنى الأحلام...

أشعر كأن روحي تبث هذا الضوء الأحمر الذي ينبض بتوجس إعلانا بأن البطارية لم يبقَ في حياتها إلا دقائق وسينتهي كل شيء!

openkan.com

شعور مُريع...

لماذا أوقفت كتابة خواطري في صفحتي على "الفيس بوك"؟؟

لا أقدر حتى على الكتابة أو التعبير عما يعتريني، فقط الجلوس في الشرفة محدقة في اللاشيء ياليته يخلصني من بعض ما أحسه... لا أطيق النوم ولا الراحة ولا الجلوس ولا الوقوف تعبت من كل شيء وانسحبت تماما...

ليس عن سذاجة طفلة فشلت في علاقة عاطفية ما كما يعتقد من يعرفني ومن لا يعرفني، ولكنها عقلية شيخ عجوز أذاقه الزمن ويلاته وشبع من الحياة تماما.

يعتقد أبي أن هذا ناتج عن خجل، أو مشاكل في الاختلاط بالناس، أو صدمة كبيرة لا أود الإفصاح عنها، ربما... لكن الأكيد أن اختياري هذا بمثابة بديل للانتحار.

هل يستوجب عليَّ الذهاب إلى طبيب نفسي؟؟ وما جدواه؟؟؟

سيستطيع فرضا أن يحقنني الدوبامين، ويشعرني بسعادة مشروطة بقدرتي على خوض حروب سخيفة من حروب الحياة التي لا تنتهي، لكن هل سيستطيع جعل حظي أوفر؟ أو أن يقنع الحياة مثلاً بأن تكف عن إعطائي عكس ما أريده بالضبط؟! هل سيستطيع انتشال الأسئلة الكاملة من غياهب رأسي؟

ناهيك عن إقناع والدي أن الذهاب لطبيب نفسي لا يخص أبناء الطبقة

obeikan.com

الأرستقراطية فقط! وأن الذهاب لمصيف مرسى مطروح لمدة خمسة أيام كل عام لا يحل كل شيء!

لم يعد بي حيل أن أهش ناموسة أراها بكل الحماسة - التي أفتقدها - تغرس إبرتها في جلدي.. فكيف تطلب مني أن أقنع رجلا فشلت الأيام في تغيير مثقال ذرة منه اللهم إلا هذا الشيب المفاجئ الذي غط فيه رأسه!

اااااه

حتى الدعاء يديّ مغلولة إلى صدري، ولا أستطيع أن أفتحهما، أو حتى قولة (يارب) بصدق! أيتخاصم أحد مع الله؟! هل نقدر على المشاكل النفسية حتى نُحيلها بمنتهى الجبروت إلى مشاكل إلهية!!

قالت لي والدتي يوما أن الله مادام يُبقِيني على قيد الحياة، إذن لم ينتهي دوري بعد...

ما دوري إذن وأنا اشعر بتنفُّسي وأضيق بتتابعه المميت؟! أشعر الآن كلما رأيت مختلا عقليا في الشارع يحدِّث نفسه أو يكشف عوراته أن الحال سيودي بي إلى هذا يوما!!

رحماك يارب".

******

"كانت تحب أن تقرأ وخصوصا في الأدب الفرنسي... ياااااااااه هل أثارت تلك الفتاة كل هذه الذكرى لمجرد أنها تقرأ؟! أم أنها الغريزة

obeikan.com

التي نست لورا أن تهذبها قبل أن ترحل؟؟ هل ما دفعني إليها بجرأة محض جلستها نفس الجلسة؟! تترك العالم وراءها ولا تحس بي قيد أنملة كما كانت تندمج لورا أثناء قراءتها؟ أم لأنها نهضت وتركتني على غفلة بلا مبرر كما فعلت حبيبتي؟

تركتني لتترك فراغا لم تستطع امرأة أن تملأه ولن تستطيع".

مازال أحمد يزوي على الشاطئ كنبْتةٍ حُرِمت الضوء والماء وأُرغمت على الموت في صمت....

يتابع الشريط الذي بدأ ويبدو أنه لا ينتوي على نهاية...

******

"خنته، وإذا رجع الزمن مراتٍ عديدة سأخونه أكثر من عددها!"

اندفعت "ملك" مرة واحدة كالمصاب بالصرع في وجه نانسي أثناء كرمشتها لورق أفصحت فيه عن نفسها كأنها تخاف أن يرى أحد حرفا واحدا مما كتبته، فتوصم بالعار المطلق أوالتذكر المطلق...

اندهشت نانسي من جملة أختها التي كانت لا تشعر حتى بوجودها معها في نفس الغرفة متكومة في آخر سريرها ملتوية في وضع الجنين أو وضع الحنين كما تسميه نانسي متفلسفة... رأتها كأسوء ما يكون المرء، كالمجذوب الذي يهذي بلا أية داع.. أنَّبت نفسها كثيرا لأنانيتها المفرطة التي شغلتها عن أختها التي جاءت مطرودة منذ أيام من بيت زوجها، مسافرة وحدها من

obeikan.com

القاهرة بشنطة يدها فقط.

نهضت من على مكتبها... جلست بجانبها على السرير ثم ربتت على كتفها وقالت بحنان دامع:

- أنا سعيدة بوجودنا معا مرة ثانية يعلم الله كم كنت أفتقدك يا ملك لكن في نفس الوقت لا أطيق رؤيتك هكذا! لماذا لا تحكين لي ما يؤلمك لهذه الدرجة؟ أبعدتنا المسافات لكن هل أُبعدت القلوب؟؟

هم لا يعنيهم سوى البيت، لا يعنيهم سوى كلام الناس، نظرة المجتمع، العادات والتقاليد، أما أنا فلا يعنيني سواكِ أنتِ.. أنتِ توأمي وإن كنتِ سبقتيني إلى الهم بثلاثة أعوام..

أعلم جيدا ما معنى الخيانة.. لكنني أعلم أكثر ما معنى ملك..

كيف لمثلك أن يخون؟!

******

ومازال الشريط مستمرا تتدافع مشاهده الواحد تلو الآخر كتلك الأمواج التي يجلس قبالتها...

"كأي شرقي لا يأمن للمرأة التي تتخذ الحرية شعارًا لها!

في البداية لا أنكر أني كنت أنظر إليها تلك النظرة الدونية، وأني هنا لأجمع مالاً بأي طريقة وأذهب لأمي تزوجني بمن تختارها.. حتى استطاعت لورا

obeikan.com

أن تضمد جراحي التي أخذتها معي إليها...

أبٌ تركك تصارع الدنيا وحيدا واكتفي بالنظر إليك من بعيد أو تشجيعك بعبارات جوفاء صمتها أرحم من حديثها... هذا بالطبع إن لم يرمقك باشمئزاز وهو يغمغم "كنت عارف..."

كلية الهندسة...

بلا عمل بلا حرفة تكسبك ولو حتى قوت يومك، حبيبة تركتني لتتزوج بالقادر على رغبات والدها... القصة إياها التي مل الجميع سماعها ولم يعد يتأثر بها أحد.

ذات يوم عرض عليَّ زميل العمل معه مترجما للغة الفرنسية، كنت أتقنها نظرًا لتعليمي في مدارس "الليسيه المصرية" بالإضافة لولعي الشديد بها... ترددت أولا، ثم وافقت أخيرا بعدما ضاع الأمل في غياهب الأحلام الممكنة جدا المستحيلة جدًا جدًا!

أتعرف الذي يتفوق في عمله ليس لأنه يحبه أو مرغمًا عليه، بل يتوهمه قصدًا نوعًا من المخدرات الحلال تُلهيه عن التفكير في يأسه وخيبة آماله، ثم يكمل اليوم بمخدرات من نوع آخر حلال أيضا وهي النوم... النوم العميق... حيث المتعة الوحيدة التي خلقها الله لأمثالي، ومن سوء حظهم الأبدي لا يتسنى لهم أن يشعروا بها مطلقا مهما فعلوا..

لا أحب الجلوس على القهاوي لكني أحيانا كنت أضطر إلى الجلوس مع بعض

جيراني كسرا للروتين القاتل أو التنزه مع فتيات لا تربطني بهن مشاعر أو بعض المشاعر الغريزية المؤقتة...

أربع سنوات على هذا الحال، حتى ظننت أن تغير الحال من المحال.. أنتظر حين يحين وقت الخروج من العمل الذي يعمل بتقنية الاستعباد، وأعود إلى البيت في انتظار وقت العمل لأنه يعمل بتقنية الإزهاق... إزهاق الأرواح بمرادفات النكد والتأنيب المحاطين بهالة من الحنان الغبي.. ودون سابق إنذار تعطلت ساعة الدنيا لتدق ساعة الخلاص..

الحياة بإمكانها أن تنتقل بضراوة من الدرك الأسفل من النار إلى الفردوس الأعلى والأمر لا يحتاج منها إلا لثوان على أقصي تقدير!! والعكس صحيح.

عقد عمل في فرع الشركة في باريس خُص به زميلي، لكن الأقدار حينما تنتوي إسعادك تهييء كل السبل لصالحك وحدك!! ولا تكرر ذلك كثيرا... فعليك أن تقرر وحدك!! لم أفكر... كيف يترك الغريق نفسًا جديدًا يعيد فيه نبض الحياة؟؟ حملت حقائب أوجاعي، وباغت الكل برحيلي.. تركت الجميع بأحزان مفتعلة سرعان ما تفاعلت داخلي لتنجب حزنًا حقيقيًا تصاعدت جراءه الدموع كنتيجة لهذا التفاعل المباغت!

ما أقصى تفاعلات العناصر الخاملة حينما تزج بها الظروف أن تحاكي غيرها..لماذا لا توجد حياة في بلادي؟؟

******

تنظر ملك لأختها بعينين جاحظتين ودم فائر.. ترد على سؤالها بسؤال آخر...

"كيف عبث بي لهذي الدرجة؟ أكل هذا الغباء يمكث في عقلي؟"

ثم تغالط نفسها بعصبية بالغة:

"لا ليس غباء، بل غرورا وكبرا!! ربيت عليهما منذ صغري... جمال أوروبي يتباهون به بمناسبة وبدون مناسبة، كأنهم الذين خلقوه وصوروه، دراستي التي أخفقت فيها مرارا وتكرارا تُقابل دائما بلامبالاة في حين يقوم البيت ولا يقعد إذا انخفضت درجاتِك في مادة واحدة حتى!"

تخيلي يا نانسي أنكِ ربيتِ على إنكِ "تابلوه" باهظ الثمن سيمنح في يوم لمشترٍ ما يدفع ثمنه ومهمتهم أن يحافظوا عليكِ من أي خدش لا أكثر ولا أقل!

حقًا بماذا تطمح العروس اللعبة ذات العينين الزرقاوين غير إمتاع زوجها المستقبلي بهذا الجمال الأخاذ؟! كيف لهذا التمثال الشمعي المثير أن يتعلم أو يعمل وتكون له شخصية مستقلة يفخر بها؟! كيف تنصت لحديثه دون أن تنشغل بتكوير ثديه وبياض بشرته ورقة تفاصيله؟! كيف لهذا المجرم الذي رباني أن يحيا هكذا؟!

ردي عليَّ!

******

يقذف البحر مزيدا من الأمـواج، ينسى بعض منها طريقه فيتلاشى في المنتصف، ويواصل البعض الآخر مسيرته...

"لا أتذكر جيدًا...

لا أدري على وجه الدقة متى أحببتها بهذا الشكل؟؟ عندما أتيتُ إلى فرنسا كنت ذلك الشاب الشرقي الجاهل الباحث عن المال والشهوة والنعيم.. ذلك الإنسان البدائي الذي لم تهذبه أي حضارة... أو ذلك الإنسان العصري الذي أظهرت الحضارة أسوأ ما فيه، إلى أن وجدتها..

تسللتْ طريقها إلى قلبي خلسة.. طهرتني.. بدأنا حياتنا دون رابط رسمي.. لكن ثمة خوفا من الله دفعني أن أتزوجها رسميا، وليس الجنسية الفرنسية كما ظن الجهلاء وإلا لكنت تزوجت أي واحدة من اللاواتي قابلتهن في طريقي..

كان أشد ما أخشاه أن يعاقبني الله فيها".

اغرورقت عيناه بالدموع، رمى الكرسي بعيدا وجلس على الرمال قبالة الشاطئ... خلع حذاءه ثم جواربه.. ترك الماء يداعب قدمه، وأخذ يتابع شريط حياته الماضية بذلك الألم الغريب الممزوج باللامبالاة!!

"لورا إدموند"

"أجمل ما يمكن أن يجب القدر به على رجل.. احتوتني عندما نبذتني الدنيا وعلمتني كيف يغدو الرجل رجلاً! عندما كنت أسير برفقتها..

كانت هي التي تفخر بي! هل لأنني رجل كما ينبغي - كما كانت دوما تهمس لي - أم لأنني لمحة من بعض ما صنعته يداها؟!

عندما تزوجتها أرسلت صورها لأمي.. لأهلي.. لأصحابي.. وضعتها صورة الغلاف على "الفيس بوك" وكنت فيما مضى أعتبر من يقوم بذلك ليس محسوبًا على الرجال بل على الذكور أيضًا!!

أتذكر أني وقفت مرة على قمة إيفل وقلت بالفرنسية (هذه زوجتي) ضحكت بعفويتها ثم قبَّلتني وكان هذا - ببساطة شديدة - أقصى ما يمكن أن يسعدني في الدنيا.

أتذكر جيدا أول مرة لامست جسدها فيها... كنت أنتشي من نظرة عيونها فقط.. أثناء اللقاء همست في أذني (ستقتلني رجولتك) بلغتي!، عرفت بعدها أنها تعلمت بعض كلمات اللغة العربية التي لم نكن في حاجة إليها إلا حاجتها أن تتفنن في إسعادي".

لم يستطعْ أن يتمالك نفسه هذه المرة.. قذف روحه في البكاء وانتحب بصوتٍ مسموع.

******

تركتها نانسي بعدما هدأت من روعها.. ذهبت لتناول العشاء مع والديها سألوها عنها فأقسمت بجميع الأيمانات أنها حتى الآن لا تعلم حقيقة ما حدث، ثم جاءت لغرفتهما ونامت بجانبها كما كان الوضع قبل زواج ملك.

openkan.com

هي لم تفعل شيئا! أكلت ثم نامت من فرط التفكير بيد أنها كانت أمورا موجعة للغاية!!

لا يوجد من يسمعُك للأبد عليك أن تؤمن بذلك قلبا وقالبا!!

ابتسمت ملك بطرف فمها، ومن عينيها انزلقت دموع ليست كالدموع.

******

رجع أحمد إلى بيته في لوران... لازال فراغه يقذف إليه الذكريات الأليمة بتتابع لا يكل..يمسك صورتها التي يضعها أمامه على مكتبه الصغير ويتمتم بصوت يعتصر ألما:

"رحلت من دون أن تترك لي إرث عينيها..

مطعونا في قلبي يا لورا... لكني أحب أن أعلمك أن كل ما فعلتيه كالزبد جفاء! كان الأحرى بك أن تزرعي في أرض كريمة تحفظ خيرك وتحيا عليه... للأسف عادت بعدك ريما لأقذر عادتها القديمة.. لم يفت على فراقك شهر حتى فعلت كل يمليه شيطاني عليَّ.. تصوري خنتك لأنساكِ؟

لكن روحي أبدا لم تخُنْك بل ذهبت تقتفي أثرك ومازالت حتى الآن...

أكاد أسمع لازمتك الجميلة ترن في أذني وأنتِ تقولين (وهل هذا مبرر)؟؟

لا ياحبيبتي... لا".

******

يخرج "حمدي" زوج ملك من باب شقة والدها بعدما ألقى بكلمات أضرمت النيران في نفوس كل من سمعها!!

يهرول الوالد إلى حجرة ابنتيه وهو يصرخ بجنون:

- افتحي، افتحي الباب يا.....

تنقض ملك على الباب لتفتحه في حين تمنعها نانسي لكن هيهات....

بشعرها المنكوش وعيناها المتورمتان وعروقها النافرة تصرخ في وجه أبيها بالجملة التي لا تتفوه بغيرها:

- نعم خنته، ولو عاد الزمن مرات عديدة سأخونه أكثر من عددها!

تصرخ أكثر....

- أنا خائنة.. أنا خائنة.. أنا خائنة..

يضربها الأب في هستيرية إلى أن تنهار تماما في حين تبكي الأم بكاء الثكالى وتطلب نانسي الإسعاف.

******

وضع صورتها في مكانها على المكتب، ثم أمسك رأسه بكلتا يديه كأنه يستجمع الماضي ليحيكه ببعضه..

"بعد شهور.. سئمتُ من كل آثامي.. قطعت علاقتي بكل ما لوثني ورجعت إلى عملي بكل ما في من قوة... أعطيته الوقت الذي يريد أن يرتاح

obeikan.com

فيه ضميري ولو قليلا، وعندما أردت أن أكافئ نفسي كنت في حقيقة الأمر أنتقم منها.. ألقيت بمعظم أموالي في المحيط وبالتحديد في مثلث برمودا".

أمْسَكَ وريْقة على مكتبه، ورسَمَ مثلثًا كبيرًا كتب بداخله "لورا"، ثم لون رؤوسه الثلاث بالقلم، وأخرج من كل منهم سهما و أخذ يغوص في حقيقة نفسه إلى أن خلص إلى هذه النقاط، وهو يبتسم ابتسامة مريرة...

الأولى: تعويض مريح نسبيا (ما معني كلمة خسارة بعد فقدانه لورا؟)

الثانية: مازوخية قديمة (يؤذي نفسه ويستمتع بذلك)

الثالثة: عدمية مفاجئة (يريد أن ينتهي كل شيء)

******

كلهم واحد..

حمدي أبي!!

أبي حمدي !!

كلهم واحد

السبب

هو السبب

obeikan.com

هو سبب كل شيء

الجرح...

أبي

حمدي

تهزي ملك في غيبوبة تامة، بينما يخرج الطبيب من غرفة العناية المركزة وهو يقول بحزم :

- انهيار عصبيّ حادّ، ابتعدوا عن محيط الغرفة حالاً!

******

في العناية المركزة

أن تتعامل مع طفلة عنيدة بغباء شديد وجهل مطبق...

يعلن اللاواعي حضرته.. الصدق التام حيث الغيبوبة التامة...

مشاهد مبتورة من فيلم سينمائي موجع للغاية على الرغم من عشوائيته ورداءة إخراجه!!

مشهد ١

أب يحرم طفلته من لباس العيد، بينما تهزج أختها بالفستان الجديد وتلف به أمامها...

obeikan.com

مشهد ١ عاشر مرة

"أكشن"

مشهد ٢

أبٌ يدعي من قلبه أن يكسر الله قلب ابنته؛ لأنها تعلي صوتها عليه وهي تدافع عن والدتها التي يهين كل ما فيها أمامها.

مشهد ٣

أب يمنع عن ابنتيه... ليكيد أمهما!

مشهد ٤

رسوب فتاة في امتحان الثانوية العامة.

مشهد ٥

أبٌ يُوسع أمًا ضربًا أمام طفلتهما المذعورة.. تجري على التسريحة لتلتقط فرشاة الشعر بيدها الصغيرة، وتهرع لتضرب أباها...

ولا يهدآن...

مشهد ٦

أبٌ يهين ابنته المراهقة لأنها نظرت لزوجته الجديدة نظرة لا تليق...

عندما يأتي الجرح قبل الحب !

obeikan.com

ولدت في هذا اليوم أشياء لا تموت أبدًا!

مشهد ٧

طفلة بلا مصروف دائما... لم تفعل ما يستحق لكن والدتها فعلت!

مشهد ٨

فتاة في أبهى جمالها تنتظر رجلا يحبها تنتظر أبا بالأحرى وهي حتما ستحبه بالطبع مهما كان!

مشهد ٩

صفحة جديدة لكن....

للجارح أيضا وجعه الخاص... الخاص جدًا!

يتفوه الأب برصاص يأخذ شكل الكلمات:

- أنتِ بحق جميلة يا ابنتي لكن رؤياكِ توقظ بداخلي القبح بأكمله!

مشهد ١٠

تقول الأم أن الأب لا يحبها، ولا يحب الطفلة، وتسوق دلائل غائمة...

مشهد ١١

- لا يشبه أبي!

قالتها بتحدٍ وحزن فتاة عشرينية في قبالتها مؤخرة زجاجة مياه فارغة

obeikan.com

عندما سألتها صديقتها بمرح حقيقي أثناء اللعبة:

- ما مواصفات فتى أحلام الأميرة ملك؟

مشهد ١٢

الحلم يتحقق..عروس في ليلة زفافها مع... رجل يهاب حزنها.. لا شيئا بعد ذلك!

مشهد ١٣

خيانة...

" كات "

المخ يحذف عمدا مشاهد بعينها، لا يريدها في فيلمه لسبب غير واضح...

الإضاءة ترجع للديكور المتهالك..

تفتح ملك أعينها ببطء لتعود أدراجها إلى حياتها الطبيعية أو المسماة هكذا!!

******

- خير ياد كتور، ما بها؟ أرجوك أبلغني الحقيقة..

- من حضرتك؟

obeikan.com

- أنا أختها

- انهيار عصبي حاد.. مؤكد أنها تعرضت لمثير قوي لم تحتمله بنيتها النفسية، ماذا حدث قبل المجيء إلى المستشفى؟ أحكِ بالتفصيل من فضلك مهما بلغت تفاهة التفاصيل...

- زوجها جاء إلى منزلنا، وقال كلام صعبا مستفزا، لم تخرج لرؤيته لكن صوته كان عال، أغلقتْ باب الغرفة وأخذتْ في التشنج بصوت خفيض وهي تعض أي شيء أمامها، وتقول أنها لا تريد أن تراه وتكررها بهستيرية.. ثم تقول أنها لا تريد أن تراهما، هو وأبي تقصد.

ثم ظهر عليها أيضًا رجفة شديدة في كل جسمها تقريبا.. خصوصا في يديها، حاولتُ تهدأتها لكن بلا جدوى، خرج زوجها بعدما استشاط أبي غضبا فاتجه ناحية الغرفة، وأخذ يقرع الباب ويسبها بأقذع السباب.. فتحتْ له.

هناك شيء لا أعلم عنه أي معلومة تقول أنها خانت زوجها وتكررها كثيرًا.. ضربها أبي وهي لا تتوقف عن قول هذه الجملة إلى أن فقدت صوتها تماما وأغمى عليها.

في حوالي ساعة تقريبا كنا قد وصلنا إلى هنا.. هل نستطيع الذهاب بها اليوم إلى المنزل؟

- خلال أيام أو أسبوع بالكثير تستطيع أن تخرج.

obeikan.com

- ما بها يا دكتور؟

- رجع صوتها الحمد لله، لكني لا أستطيع الحكم عليها الآن، هي في حالة تبلد.. تبتسم لي أحيانا وتتحدث بعقلانية تامة لكن لا داعي للتسرع سأتبع معها الفحوصات اللازمة.. أين والدها ووالدتها؟

- والدي لا يريد أن يعالجها ووالدتي هي التي ذهبت لشراء الأدوية التي طلبتها حضرتك غير الموجودة بالمستشفى..

- خير لا تقلقي... بعد إذنِك.

******

بعد خمسة أيام.....

تقف نانسي مع الطبيب أمام حجرة ملك في المستشفى بعد أن تم نقلها من العناية المركزة إلى حجرة عادية، سألت الطبيب هل بإمكان ملك أن تخرج من المستشفى، أبلغها أن الأعراض ذهبت وهي بكامل قواها العقلية الآن، لكن نفسيتها لا تحتمل رؤية مسببات الأعراض مرة أخرى، إذا حدث هذا فهو غير مسئول لأن الوضع حينها سيزداد سوءا، سألته عن مسببات الأعراض فأجابها باختصار"شخصان لا يجب أن تحتك بهما في هذه الفترة بالذات، زوجها المدعو حمدي ووالدها" ثم أعطاها الكارت الخاص به ونصحها بألا يهملوا العلاج النفسي حتى إن لم تشكو مرة أخرى من تلك النوبة..

obeikan.com

ودعته نانسي وهي تفكر كيف ستبعدها عن أبيها؟؟ أخذت تتمتم في نفسها:

"أين نذهب الآن؟"

اتصلت نانسي بوالدتها، وأبلغتها بما قاله الطبيب، اقترحت عليها الأخيرة أن تذهب بها إلى خالتها في المعمورة حيث الجو رائقا بالقرب من البحر كما أن ابن الخالة الوحيد سافر إلى كندا وتعيش بمفردها بعد وفاة زوجها.

وبالفعل ذهبت نانسي وملك إلى خالتهما.

******

في الشرفة المطلة على البحر في بيت الخالة... أعدت نانسي كأسين من عصير البرتقال وجلست بجانب أختها تحاول أن تستجدي من جوفها أية كلمات...

"تركتُ كل شيء ورائي، لم يضحك عليَّ بعبارتين حب فحسب.. ملك عقلي قبل قلبي، ملك روحي كما كان يحب أن يناديني دوما.. لم أتغاضَ عن ترك أهلي وأصحابي لو كان طلب عمري ما كنت أتردد حتى... منذ التقيته شعرت كأني خُلقت له كيف يتسنى لإحساسنا أن يخوننا بكل هذا الصدق؟!

أثناء خطبتنا لم يكشفه أحد..حتى أبي الذي يدعي فهم الرجال خُدع فيه، كانت عقولنا في يده أوراق "كوتشينة" يبدلها كيفما شاء...

obeikan.com

رجل... ثلاثيني... صاحب شركة استيراد وتصدير... ملتزم دينيا... ماهر... لبق.. أنيق... يجيد الكلام المحبوك كمطرب مصطنع يجوب بكلمات مهترئة في قلوب جماهير بلهاء...

كيف يُرفض؟؟

لم يعترض أحد على ذهابي إلى القاهرة إلا أمي وعرف كيف يلتف كالحية حول قلبها وعقلها في ثوان معدودة! كان بكلمة منه يهتك جل مخاوفي ويرسم لي الجنة الموعودة...

في حفل زفافي... بكيتم جميعا.. حضنتوني وقبلتوني كانت أول مرة أشعر بأن لي مكان ما في قلوبكم..

كانت أول مرة أرى أبي يبكي لشيء ألمَّ بي... أول مرة أسمعها بحب تخرق طبلة أذني (ابنتي) وآخر مرة... أرغمت قلبي حينها ألا يتأثر كثيرًا.. كم كنت أتوقى لحظة حب وحنان حقيقية كتلك التي عشتها وأنا أودعكم وأركب السيارة المزينة بالزهور التي كثيرا ما داعبت مخيلتي بجوار زوجي الذي أحبه".

تعلم نانسي أن ملك عندما تغضب بحرارة تجمع الكل بإساءتها، لم ترد أن تدافع عن نفسها ولو بحرف، أرادت أن تتركها تُخرج كل ما في جعبتها من الآم؛ علها ترتاح ولو قليلاً...

- لم أترككم تفسدوا عليَّ تلك اللحظة كما كنتم تحبون أن تفعلوا دائما!

obeikan.com

صمتت لتلتقط أنفاسها المتهدجة.. هبطت دموعها كسيول ساخنة انحدرت على وجنتيها لتدمرها لا لتحمل عنها بعضا من الألم حضنتها نانسي قائلة:

- أبكِ... لا تكتمي أكثر من هذا... مضى يومان لم تتكلمي ولم تأكلي شيئا.. أتحبين أن نخرج سويا نتحدث بحرية أكثر؟؟

- لا، لا أقوى، أريد فقط أن أبكي كان حلما وتحقق!

ثم تنهدت بصوت ينفطر من شدة الألم وأغرقت الدنيا بكاء..

عانقتها نانسي في صمت إلى أن هدأت قليلاً ثم تحدثت بلا صوت:

"حينما زاد على اسمي حرف الألف وأصبح (ملاك) كانت تدق فوق رأسي أول علامات اللاعودة...

قلت في نفسي يااااه كيف رأى شخص حقيقتي هكذا؟

كأنه يستبصر روحِك.. يعمل على إشباع غرورِك وإغراق الأنا في أنانيتها حتى

تلهيكِ عن الوحش الجاثم فوقك... يدنيكِ ويبعدكِ.. يبعدكِ ويدنيكِ... بنفس الوتيرة كأنكِ بندول حائر على حائط منزل مهجور تنتظرين موعدا مع اللاشيء... فترة الدنو...

إن شئنا الدقة فترة محاكاة الدنيا وهي إمتاع الضحية مؤقتا لاستنزافها بعد ذلك..

طريقة حلوة ونتائجها مضمونة!

هل قابلتِ في حياتك ذلك الشخص الذي يجرح أعماقِك ولا يسمح لكِ حتى بمجرد الألم؟! فلا يسعك إلا أن تدفني نفسك في أول قبر معفر بتراب الندم على كل لحظة عشتيها بفضيلتك!

ثم تجدين الذي طالما حلمتِ أن تموتي قبله.. يدهس - بمنتهى البساطة - دمك الفائر بعذابك! دود أناتك الذي ينخر في عظامك الهشة.. وبدلا من أن يستأدب في حضرة الموت... يضحك! ولا بأس أن تموتي في اليوم آلاف المرات ثم تُبعثي لتُحاسبي على ذنوب لم تخطر على بالك حتى!

بعدما أفقتُ من فقرة العسل في المسلسل المحبوك جيدًا، بدأت الوحدة بالتسلل تدريجيا.. غربة عن أهلي.. عن أصدقائي... عن مدينتي التي ما كنت أحسب يوما أني أعشق ترابها لهذي الدرجة..

حتى قطتي التي أخذتها معي لم تتحمل العيش... أدارت لي وجهها وهزلت بصمت غريب...

يقال أن القطط والكلاب يسمعون أصواتًا لا يمكننا سماعها ويتنبؤن بزلازل وبراكين قبل حدوثها الوشيك...

لابد أنها سمعت ما سيحدث لاحقا فماتت على الفور!

أو ربما قُتِلت بفعل فاعل.. جائز.. كل شيء جائز... لم أعد أستبعد شيئا".

******

نانسي في ثوب النوم الأسود المنحسر إلى ما بعد الركبة الذي لو أبرز كل فخذيها لكان أرحم... تتململ في فراش أحمر وثير بإغراء جامح...

مشهد بلا شاشة زجاجية تعيقك عن الدخول... بوسامته وصدره العريض المعضل يقترب من السرير بعينين جائعتين مخيفتين ويكح مفتعلا ليعرب عن... استئذان في غير محله، كأنك تستئذن باب فمك الجائع للولوج إليه بالطعام الشهي!

تصرخ...

لا !!!!!

!!!!!!اه !

استيقظت مفزوعة لتجد ملك بشعرها البني الأشعث حمراء العينين الزرقاوين تحملق في السقف فأكملت نومها فزعا!!!

لم تحك تفاصيل الحلم البتة... هل لأن نفسية ملك لا تسمح بذلك؟ أم أن خجل العذروات يطوي لسانها غصبا؟؟ وأين كان ذلك الخجل عندما اتصلت بها في ليلة صباحيتها وهي تعلم أنها بجانب عريسها لتسألها: سبع أم ضبع؟؟؟ أتحتاج نانسي بعض الوقت حتى تألف أختها مرة أخرى؟؟؟

يبدو أن ثمة شيء قد تغير...

******

obeikan.com

استشارت نانسي الطبيب الذي أعطاها رقمه.. أبلغته بما حدث بعد خروج ملك من المستشفى.. نصحها ألا تثقل عليها بالحديث في هذه الفترة بالذات.. قال لها:

- الهدوء ثم الهدوء ثم الهدوء ودعي فضولك يهدأ قليلا....

سمعتْ بنصيحته واستأذنتْ خالتها في الذهاب إلى بيت أبيها للاطمئنان عليه هو ووالدتها فقد تركتهما في حالة يرثى لها.

وعادت نانسي لغرفتها وحيدة من جديد...

ربما مشكلة ملك ألهتها بعض الشيء عن معاناتها الخاصة لكن ما لبثت أن طفت كل المآسي على رأسها الصغير بما فيهم مأساة أختها.. اشتد فراغها واشتد معه عجزها عن المقاومة...

عاودها طيف الجني الوسيم على استحياء.. قالت في نفسها:

"آه لو كان معي الآن... لوقف بجانبي وشد من أزري وحمل عني بعضا مما أعانيه".

أخذت تكذب كل شعور تمر به وهي تحاور نفسها في حيرة:

"أأكون أحببته؟؟ ما هذا الجنون والعته؟؟ ربما هو خرف العزلة؟؟

العزلة... ليست بالقبح الذي يهابونه بل ليست قبيحة من الأصل...

قد ماتت الأيام في عيني ولم أستطع إنقاذها أو ربما ساهمت في قتلها لا

obeikan.com

أدري.

اللّه...

ربما أنجاني من كوارث محققة لكن الشيء الذي لم أستطع فهمه حتى الآن: لماذا يبتليني في رفات روحي بمزيد من التجارب المضنية لكل ما تبقى لي من فتات حياة؟؟

(لا يكلف اللّه نفسا إلا وسعها)؟؟

هل هذا ما بوسعي فعلا؟

لا.

كل ما أعرفه أنه...

لا طاقة لي".

******

صبيح يوم، قامت نانسي على رنة هاتفها، فقد كانت تغطُّ في سبات عميق...

رقم غريب ضغطتْ على زر الرد بصورة لا إرادية:

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته، آنسة نانسي؟؟

- نعم أنا، من حضرتك؟

obeikan.com

- معكِ أستاذ رياض صالح صاحب دار لنرتقي للنشر والتوزيع.

- أهلا بحضرتك.

- هل أزعجتكِ؟ يبدو أنني أيقظتكِ من النوم...

- لا عليك، خيرًا؟

- هكذا الفنانون جميعا يريدون إجابات حاسمة في التو واللحظة ولحسن حظنا يمنع الله عنهم أي إجابة لنستمتع نحن بحيرتهم.

- لا أفهم شيئا!

- (يقهقه بصوت خفيض) أنتِ صاحبة صفحة (مذكرات امرأة أوفر)؟؟؟

- نعم أنا.

- حسنا، أنا قرأت كل منشوراتك وأعجبتني جدا وأتوقع أنكِ ستكونين من أشهر كاتبات مصر في غضون سنوات قليلة لكن الأهم ألا تنسينا بعد ذلك!

- أشكرك.

- أنا الذي يجب أن أشكرك، لن أطيل عليكِ، أنا تحمست جدا لكِ وأريد أن أنشر كتابا باسمك يحوي كل هذه الإبداعات الراقية.. ما رأيك؟

رفست الغطاء فجأة وجلست على السرير مندهشة لا تكاد تصدق أذنيها!

- نعم؟؟

openkan.com

- أريد أن أنشر كتابا بعنوان (مذكرات امرأة أوفر).. سأنشرها في داري ولي الشرف.

- العفو يا فندم، أنتِ "منة" وتقومين بعمل مقلب سخيف.. كالعادة دمك ثقيل لا جديد!

- هاهاهاها أنا منة؟!! الله يسامحك يا فنانة... على العموم هذا رقمي إن أردتِ أن تأخذي الموضوع على محمل الجد أبلغيني... سلام.

وأغلق الهاتف فجأة دون سماع رد السلام! كادت أن تجن فركت عينيها قويا أكان هذا حلما؟؟

مازال هاتفها في يدها، ضغطت عليه بشدة كأنما تريد أن تؤكد لنفسها أنه واقع ملموس وليس حلما..

نظرت إلى الرقم واتصلت على الفور لتلهب أعصابها هادمة اللذات ومفرقة الجماعات:

(الهاتف الذي طلبته غير متاح حاليا من فضلك حاول الاتصال في وقت لاحق)

اتصلت بالرقم عدة مرات بشكل هستيري ثم تراخت قواها وتدافعت الأسئلة برأسها الصغير...

من هو؟ كيف عرف رقمها؟ هل هذه هي الشمعة التي تولد في العتمة عندما

obeikan.com

نظن ألا مخرجا؟؟ أم مقلب من مقالب أصدقائها الساخرين من هوايتها غير المألوفة لديهم؟

هل هي موهوبة لهذه الدرجة التي تجعل دور النشر تقتفي أثرها وتتهافت عليها؟

كيف عرف صفحتها التي لم يتعد معجبيها مئات الأشخاص تعرف نصفهم بشكل شخصي؟!

غضبت وتوترت كثيرا ثم قالت في نفسها:

تعلمت من تجاربي – هذا إن كنت تعلمت شيئا – ألا أبالغ في توقعاتي وأدع الأمور تجري على أعنتها..

حفظتْ الرقم في ذاكرة الهاتف باسم أ. رياض صالح ثم ألقتْ الهاتف بلا اكتراث وأكملتْ نومها بتصنع بالغ!!.

******

بعد ساعة من التفكير المتواصل... نامت نانسي رغما عنها وفي تمام الساعة الواحدة ظهرًا دق جرس الهاتف ثانية...

أ.رياض صالح يتصل بك...

في لمح البصر بقلب يضطرم ردت على الفور:

– السلام عليكم

obeikan.com

- عليكم السلام يا فنانتنا أيقظتك ثانية.. أعتذر

- اتصلت بحضرتك كثيرا لأبلغك اعتذاري أنا، لكن هاتفك كان مغلقا..

- فصل شحنه المسكين لم يتحمل هذا الصوت.

ارتابت نانسي من كلامه وطريقة مغازلته الصريحة تجاهلت حديثه وتحدثت بجدية واضحة:

- حضرتك طلبت مني رأيي في نشر الكتاب أنا موافقة طبعا...

- عظيم، أعشق حماس الشباب كم تذكريني بي!

ثم تابع بضحكة خبيثة:

- نريد أن نستغله أسوأ استغلال... ما رأيك في زيارة مكتبي اليوم؟

ينبض قلبها بالشك ترتاب لكلماته ذات الألف معنى:

- العنوان من فضلك!

جلست محدقة في الفراغ وأخذت تغمغم:

"وماذا يضيرنا لو خطونا وراء الكاذب حتى باب الدار؟!"

******

اتصلت نانسي بملك هاتفيا تبلغها بأمر هذا الرجل الغريب، ثم طلبت منها أن تأتي معها، لأنها تتوجس خيفة من ذلك الرجل المتصابي، وفي نفس

obeikan.com

الوقت لا تريد أن تلغي الميعاد، أبلغتها ملك أنها لن تستطيع الذهاب معها اليوم؛ لأنها ليست على ما يرام وأقنعتها أن تلك الدار التي ذكرها دار ذائعة الصيت لا ينشر فيها إلا المبدعون حقا، طمأنتها وأنهت حديثها معها قائلة: "الدار توجد أعلى "كافيه زانييلز" توكلي علي الله وسأتابعكِ عبر الهاتف".

وضعت نانسي الهاتف جانبا ثم قطعت إحدى أوراق النتيجة المعلقة على الحائط أمامها.. نظرت لها برهة ثم قالت: "الخامسة عشر من مارس... آه لو أنت اليوم الذي أنتظره منذ سنين "...

ارتدت بنطالا من الجينز الغامق.. بلوفر تريكو خفيف أبيض اللون.. طرحة نبيذية اللون، عليها بعض الفراشات البيضاء المنمنة.. أرادت أن تتأنق أكثر فارتدت حذاءً جلديًا أسود طويل الرقبة بكعب عال وشنطة من نفس لون ونوع الجلد... لم يكفِها هذا بل وضعت "روج" نبيذي اللون صارخ الأنوثة وبعض الكحل الأسود.

استقلت "تاكسي" ووصفت له العنوان بدقة...

مضى نصف ساعة في ترقب، تمنت لو أن تبقى للأبد في مكانها، وتمنت أيضًا لو أن تصل حالاً! مشاعر متضاربة قطعها صوت السائق عند وصوله إلى باب "الكافيه" قائلاً:

- هنا يا آنسة؟

- نعم، شكرا

openkan.com

أعطته الكافي من النقود ثم لمست الأرض بقدميها، وخرجت من "التاكسي"، أمسكت بالباب لتغلقه لكن يداها تسمرتا مكانهما.. حمْلَقَتْ وفغر فاها مغمغمة:

- الجن الوسيم؟!!

"الباب يا آنسة... الباب يا آنسة"...

******

أحمد يتفحصها بابتسامة تعلو شفتيه، ثم يمد يده مصافحا إياها بمشاكسة خفيفة الظل:

- رياض صالح، صاحب دار لنرتقي للجمال والأناقة!

أخذت تنظر إليه طويلا في ذهول وهي تقبض على يديها لتتأكد أنها لا تحلم وأنه هو...

هو الذي تفكر فيه منذ اللقاء الأول ويؤرق وحدتها...

رمقته بنظرات عتاب وتحد وشوق غريب.. ثوان من الصمت جمعت مزج عجيب لمشاعر أعجب..

- فقط لا أريد أن يؤرق وحدتي!

يقولها أحمد بسخرية وهو يقلد صوتها، رفعت حقيبة يدها تهم أن توخزه بها، ابتعد عنها قليلا وهو يضحك باستفزاز، ثم أدار ظهره لها ليواجه باب

الكافيه الذي دخله عدوًا، ركضت وراءه بمنتهى اللهفة والغيظ اللذيذ:

- سأقتلك يا رياض يا طالح...

******

جلسا سويا على آخر طاولة تطل مباشرة على جزء كبير من البحر حدق في عينيها طويلاً، ثم قال بتحد ضاحك:

- أوحشتيني.

- كيف عرفت رقمي؟ كيف وصلت إليَّ؟

- لا أُسأَل عما أفعل!

- أإله حضرتك؟

- نعم، إله الجنون عند قدماء المصريين!

تعالي هنا.. تلهيني بأسئلتك وتتناسين فعلتك الشنعاء؟ كيف تسنى لكي أن تتركيني وتمشي هكذا؟!! ألا تعرفين من أنا؟؟

تضحك عيناها بشغف:

- لم أتشرف بعد...

- أحمد عارف

- حسنا سأذهب لأسأله!

obeikan.com

ثم أردفت تحاكي نبرته:

- إله الظرافة عند قدماء المصريين.. اهاهاهاها

رفع أحمد أحد حاجبيه قليلا ينظر لها متوعدا لينفجرا الاثنان في نوبة ضحك عارم لا تستحق كل هذا! اقترب بجسده ناحيتها، وعيناه تلتهم عينيها:

- لماذا كل هذا الغياب؟

******

تكتفي ملك بالصمت أمام الشرفة المطلة علي البحر التي أصبحت تقضي فيها معظم الوقت.. فقط تدخل للأكل أو للنوم أو تساعد خالتها في أعمال منزلية بسيطة.. تنظر لنقطة معينة في البحر تغوص فيها أفكارها فيتلاشى ما حولها...

"لماذا تزوجني؟؟ لماذا لا أتركه؟؟

ذلك السؤالان اللذان ما فتأ أن يطرقا رأسي طوال أيامي معه ومازلت لا أجد لهما إجابة حاسمة إلا إذا وجدت لنظيرهما:

لماذا لا يتوب الشيطان؟"

******

ينظران لبعضهما بتلقائية فتاة وصبي هربا للتوّ من مدرستهما الإعدادية

obeikan.com

ليتمتعا بنظرات شوق فاضح..

تقطع تلك النظرات الكليمة رافعةً أحد حاجبيها بتحدٍ:

- كيف وصلت إليّ؟

أخرج الكتاب الذي نسيته يومها، اقترب منها قائلاً بوشوشة كأنما يخفيها سرًّا:

- اتبعت الإرشادات بحذافيرها!!!

- أوه!

أمسكت كتابها بسرعة ثم تابعت:

- أرجوك يا أحمد! الفضول سيقتلني!

- صلي على النبي!

- الطف بيَّ يارب...

ثم أردفت بضيق متصنع:

- اللهم صلِ عليك يا نبي..

******

عندما نهضت نانسي مسرعة تهرب من مصيرها المحتوم نسيت كتابها على الكرسي، تذكرته عندما رجعت إلى البيت، لكنها تناست الأمر برمته.

obeikan.com

أقنعت نفسها عنوة أنه كتاب رديء لا يستحق العودة، لكن الحقيقة التي دفنتها بجوفها أنها تخشى أن تذهب وتراه مرة أخرى.. تخشى الاستسلام لتجربة جديدة لن تزيدها إلا رَهَقًا...

أخذ أحمد الكتاب ولا يدري لماذا احتفظ به؟؟

أخذ يقلب في أوراقه.. لم يكن يثيره فيه أي شيء، وضعه على مكتبه، ثم لعب الفراغ بعقله بعدها بأسبوعين...

تصفحه من جديد، كأنما يريد أن يعثر فيه على أي خيط يحيكه بها مرة أخرى، أخذ يقلب ويقلب لم يجد فيه أي تفصيلة تعبر عن صاحبته لكن..

استرعى انتباهه صفحة بيضاء بها ثنية صغيرة غير ملحوظة كُتِب عليها بخط منمق صغير ومضة خطفت قلبه قرأها برجفة كأنما كتبت له خصيصًا:

"لن أدعك تفسد عليَّ اكتئابي"

ثم.."هاشتاج" صغير كتب كإمضاء تحت الومضة:

#مذكرات ___امرأة___ أوفر

صرخ كالمجنون: وجدتُها!!!

فتح هاتفه بسرعة وأدخل "الهاشتاج" كما هو مكتوب بالضبط...

في ثوانٍ ظهرت صفحة تحمل نفس اسم "الهاشتاج"، عليها صورتها محملة بالعديد من ومضات شعرية مكثفة تنمّ عن عقل متميز. أعجبته لكنه لم يعبأ

obeikan.com

بها كثيرًا، كان إخلاصه لهدفه في الوصول إليها قد ملك ناصية تفكيره وأودع الأفكارالجنيّة على أعتاب عقله...

بحيلته ومكره الشديدين تواصل مع إحدى معجبات الصفحة، بعدما تبين له من التعليقات أنها زميلة تربطها بها علاقة محبة واحترام لكنها لم ترقَ إلى الصداقة العميقة، وكان هذا ما يريده بالضبط..

أخذ يقلب في حسابها الخاص ليتأكد من استنتاجاته، وبالفعل كان يغلب على كلامها التدين السطحي، الطيبة، حسن النية المفرط..

ابتسم قبل أن يبعث لها برسالة قائلاً: استعنى على الشقا بالله!

حادَثَهَا بتلك الشخصية الوهمية "رياض صالح"، أوهَمَهَا بأنه يريد أن ينشر تلك المقاطع الشعرية في كتاب، لكنه لا يستطيع العثور على صاحبة الصفحة لقلة تواجدها وفرط انشغاله، وسرعان ما صدقت الزميلة الطيبة الحيلة المحبوكة جيدًا وأعطته رقم هاتفها.

******

تجاذبا أطراف الحديث بنَهَم، لا يترك أحدٌ منهما مجالاً للآخر كي يتابع باستفاضة وجهة نظره في أيِّ موضوع، ليس عن مقاطعة، وإنما لأن كليهما يتنافس مع الآخر بلا قصد على متابعة الحديث والخوف جل الخوف أن ينقطع مجرى الحديث عند أحد منهما فتفضحه نظراته بلا هوادة....

تولى النَّادل ذلك الأمر، قاطعهما فجأة كفاصل إعلاني مقيت لمشهد فيلم

في قمة التشويق والإثارة:

- الكابتشينو لحضرتك؟؟

تُومئ برأسها وهي تنظر في وجه الكوب الموصد بالرغوة الكثيفة والمزدان بندبات الشوكولاتة، بارعًا في إخفاء ما بداخله، تمنت لو كانت هو، فقط لتحذو حذوه، وتخفي ذلك الانجذاب المريع.

يتابع النادل عمله كأنه يتحرك بتقنية الـ "سلو موشن" تفرك يديها وتهمس لنفسها:

"يمشي على صبري... أخيرا ذهب بعيدا!"

- تجرَّبين الإسبريسو؟؟

تؤمئ برأسها، وهي تبتسم، يناولها أحمد القدح ليلامس كفيها عن عمد.

- ألم تعلم أن المراهقين أنفسهم ترفَّعوا عن هذه الأفعال منذ زمن بعيد؟؟

متشبثة بالقهوة جيدا، تقولها بجدية وهزلية في نفس الوقت، حتى لا يتيقن من تأثير جرأته عليها..

- لكنني مازلت مراهقًا أحمقًا، لم يترفع عن أية طيش! ما أصدق المراهقين لو تعلمين...

- ماذا تريد؟؟

- أصعب سؤال في العالم.

obeikan.com

- أقول لك أنا ماذا تريد؟؟

- يا ليت!

- شاب وسيم ينضح بأمارات الثراء كيف تتركه فتاة وتمشي دون أن يأذن هو! دون أن يتركها هو أولا!!

يضحك بروحه وجسده، تعجب بأسنانه البيضاء المتسقة التي يظهر خيالها بوضوح على شباك النافذة، ثم يتناول القدح ليحتسي قهوته ببطءٍ وتلذذ..

تتمتم في سرها: لازالت هناك أشياء في العالم تستحق المخاطرة! لالا اختياري أن أكون كوبًا من الكابتشينو كان خاطئًا للغاية!!

تعود نانسي لرشدها في ثانية، وتتابع بنبرة صوتٍ أعلى قليلاً:

- عاد لينتقم.

يتحدث هو بجدية قليلاً ما يفعلها:

- اسمعي يا نانسي.. لستُ أنا ذاك الشخص، لو عندكِ شك في هذا تستطيعين بكل حرية أن تجعليها آخر مرة نلتقي فيها، وأعِدك أننا لن نلتقي مرة أخرى.

حينئذ صمتت، يُساورها خوفٌ لا تدري كُنْهه.. ثم فاجأها بردوده الهزلية مشاكسًا:

- لكن مادام ذاك ليس أنا.. إذن لا بأس!

Opelkan.com

لم ترد أن تأخذ الحديث لمنحى الجدية مرة أخرى؛ فلربما أصيبت بالخوف أوالفزع الشديد من أن يذكر كلمة (خطوبة)، تعتقد ساخرة من نفسها أنها أصيبت ببارانويا الخطوبة المفاجئ، فقد أصبحت تلك الكلمة لديها مرادفًا للفشل، أو ربما لأنها تعشق البدايات أيًّما عشق، فأرادت أن تطول بلا تدخل تعسفي منها..

عندها استرخي فكرها كثيرًا، وأسلمت الأمر للبدايات، تفعل ما يحلو لها...

- قل لي بالحق، ما أخبار الجنِّي اللئيم!

******

رجعت نانسي إلى بيتها مصدومة، ألقت بنفسها على السرير، تنظر إلى السقف في ذهول..

"هل أزجُّ بنفسي في التجربة؟؟ أما كفاني فشلاً وخيبة؟؟

خمس خطبات متتالية، وأنا أرمي بنفسي من رجل إلى رجل متوهمة أنه سيأتي رجل يتفهم اكتئابي المفاجئ دون تذمر يُعينني عليه، يسمع صمتي بحب، يجاري عفويتي بدون شك أو استغلال...

خمس خطبات حتى صدَّق الناس أني لا أُعاشَر، وأنا أيضا على وشك تصديقهم! خمس رجال يتركونني وأهرع من يدٍ إلى يدٍ لأنسى بها اليد التي سبقتها بمنتهى التفاؤل الأعمى، حتى أخذت قراري الأجمل طيلة حياتي كلها أن أعتكف في غرفتي بين أوراقي وحاسوبي وآهاتي المكتومة مُوصدة

opeikan.com

الأبواب على قلب أي رجل.

هل هو مبعوث الله، أم مبعوث الشيطان؟!!

يجب أن أعفي الله من المسئولية.. هذه المرة أنا حرة تمامًا!

الجني الوسيم هو اختياري أنا، هو قدري الذي أخطُّه الآن بيدي وبملء إرادتي.. في أسوأ الظروف سيجرحني؟ سيتركني ليكون الخيبة السادسة؟؟على أية حال لا يوجد ما هو أسوأ من حياتي هذه!

لا يوجد أسوأ من فتاة تمتعض كل صباح لمجرد إدراكها أنه أتي يومٌ جديدٌ لابد أن تعيشه!!

هل هو خلاصي؟؟

لا أدري..

على أية حال...

أنا لا أفكر إلا فيه، ولا أريد شيئًا غيره!".

******

"الأمل... ذلك الذي يتعزم علينا أن نتخلص منه سريعا ومن أي نثار لتفاؤل يبقينا على ذمة أشخاص يأكلون من روحنا أكلا!

خطيئتي تكمن في انتظاري أن يعود ذلك الشخص الذي كان يمسك الورود في يد وفي الأخرى يدي وفي عينيه تلك النظرة...

obeikan.com

الذي اقنعني فعلا لا مجازا أني حورية مقصورة في خيام الجنة وجئت خصيصا مكافئة الله له!

وهل عاد؟

أنتظر.. أنتظر... أنتظر..

أ

نـ

تـ

ظـ

رررررررررررررررررررر"

******

الشغف... عنوان الحياة التي يرسمها أحمد بأقل التفاصيل الممكنة واللا ممكنة.....

الخوف من المصير المجهول... لم يعد يهمها كثيرا!!

ربما شدة الخوف من أمر ما تدفعنا نحوه بشراهة، إما محاولة بائسة لتحدي النفس وإثبات أنها الأقوى من أي شيء أو وصول الأمر إلى مرحلة وليكن ما يكون لم يعد هناك ما نخسره!!

obeikan.com

قلبها؟؟

ألم تخسره طوال حياتها السابقة في اللهث وراء الحب؟؟ ألم يضيعه هذا بوعد ويرشيه هذا بأمل مزعوم وفي النهاية... ها هو الآن يشير بلا ذاكرة إلى اللاشيء... لا شيء يكمل نصفها المفقود الذي تتوقد شوقا لإكماله...

اليأس.. كان عنوان مرحلة جديدة ليست سيئة للوهلة الأولى بل مريحة للعقل لكن للقلب شأنًا آخر....

أتخون اليأس؟؟؟

يبدو الشغف واليأس خصمين يتنازعان بنفس القوة داخلها وتتناثر أشلاؤها بينهما...

لكن هناك حياة (يشير قلبها ناحية أحمد الذي يمكث أمام عينيها يتألق بضوء خفي)..

قد لاح في الأفق حلم من النوع الذي تنتشي فيه طوال الرحلة غير آبه بالفشل ولا يعنيك النجاح في شيء!

قد لاح في الأفق حلم وهذا يكفي.

******

تأتي "مريم" صديقة ملك لزيارتها في بيت الخالة بعدما دعتها نانسي لكي يجلسوا جميعا كما كان الحال قبل زواج ملك ولأن الأخيرة ترفض الخروج

obeikan.com

من صومعتها...

- أوحشيتني يا ملك، أكل هذا الغياب؟!

- غصب عني.

تربت مريم على فخذها وهي تضحك بصوت خفيض:

- لكن الصراحة كنتِ آخر ذوق وواجب معي أم نسيتِ؟

- لا أفهم!!

تغمز بعينها اليسرى:

- المحادثات إياها على " الفيس "...

- أنا حسابي غُلِق بعد زواجي بشهر ولم أستطع فتحه مرة أخرى!!

دهشت مريم ثم تابعت:

- غريبة! من الذي كان يحادثني بنفس حسابك طوال هذه المدة؟! ثواني...

تخرج مريم هاتفها وتريها محادثات خارجة تمت بينهما عن علاقتها الحميمة بزوجها

تغمغم ملك:

- الآن أفهم...

******

obeikan.com

تعود نانسي لكتابة خواطرها بعد توقف طويل فكان أول ماكتبت...

"بين عصف الرجولة ووداعة الطفولة... يكمن هو".

٢٠١٥/٣/٢٠

#مذكرات___امرأة___أوفر

******

كل ما عاشته مع أحمد جديد ومختلف...

بابتسامة يعلوها مسحة من البله أخذت تجوب الدنيا معه كأنما بعثت من جديد..

يمسك يدها ليعتلان تلك العربة التي يجرها الحصان مدفوعا بضربات الكرباج أو كما تسميها "الكارتّة"، يتوارا من عيون الناس خلف مظلتها كأن الدنيا قد خلقت خصيصا لهما...

خوف ممزوج ببعض الذكريات الخاطفة بداخلهما لكنه خوف مشوب بالغمام...

خوف تائه بين طيات سعادة وابتهاج لدرجة أنك لا تستطيع التعرف على هويته...

فتنساه أو تتنساه لا فرق!

العيون..

obeikan.com

تتعرى كأنها تمثال إغريقي عتيق ذاك العري الذي يسمرك مشدوهًا أمامه من لجة الاحترام والتبجيل!

تتعانق بشوق مكبوت لتفصح عن لغة لا يفهمها إلا العاشقان حقا...

حب تتماوج فيه النظرات الروحانية والشهوانية بمزج فريد لم تخلق بعد الكلمات التي تليق بجلاله...

تريد أن يتوقف الزمن هاهنا لتبقي بين يديه وعينيه إلى مالا نهاية..

ها فارس الأحلام قد بان إبان تفاقم جبال اليأس... لا بأس مادام استطاع أن يُخرج الأمل من أعماق السفح!!

******

للسمروات مذاق خاص!

وبعدما ودعت ملك أختها وصديقتها، جلست ليلا وحيدة في الشرفة تسترجع ما عرفته مؤخرا منهما وفي الحال تقاذف إلى ذهنها مشاهد معينة بسرعة جنونية أصبحت ممنطقة ومفسرة إلى أبعد الحدود كما لو أنك تذاكر أسئلة صعبة بإجابتها النموذجية!

ومن بين تلك المشاهد يوم ما...

جاءتها العائلة من الإسكندرية لزيارتها والاطمئنان عليَّها في بداية الزواج..

كانت تشع ضوءا (لم يظهر بعد وجهه الحقيقي)...

obeikan.com

انبهر أهلها بديكورالمنزل وأناقة أثاثه الراقي والتحف المنتقاة بذوق خبير..

وبعد فقرات من أداء حمدي المفعم بالتفاني رحلوا صباح اليوم التالي قريري العين والقلب...

جلسا الزوجان على سرير النوم يتشاطران الحديث:

- هي نانسي أختك.. كم سنة؟

- أصغر مني بثلاثة أعوام.. أربعة وعشرون عاما تقريبا

- صغيرة على كل هذا!

- ماذا تقصد؟

- لا داعي..

- تقصد ملابسها؟ لم أجد شيئا غير مألوف.. ككل الفتيات في سنها!

- لالا لم أقصد الملبس وإن كان عليه بعض التحفظ طبعا...

- إذن؟؟

- توخي الحذر...

- أنا؟ من أختي؟؟ علام؟؟؟

- فتاة صغيرة لاعليكِ..

obeikan.com

- أرجوك يا حمدي قل ماذا حدث؟

- لا شيء يا حبيبتي. فقط لاحظت نظرات غير طبيعية و حركات متعمدة نحن الرجال نفهمها ووو... أرجوكِ يا حبيبتي.. هي فتاة صغيرة.. نحن أكبر من هذا

- نانسي!! غير معقول! نانسي؟!

- أنا أيضا حتى الآن غير مصدق!

تبتسم بحسرة:

"انقلبت فرحتى بزيارة أهلي في ثانية لأدخل في دوامة الدهشة الممزوجة بالحزن والشك في أقرب الناس إليَّ...

صارحني بقنبلة وصالحني بقبلة... أدرت له ظهري خجلى من نظراته إليِّ بعد أفعال أختي المراهقة! تحججت بتعب أمس وتظاهرت بالنوم العميق".

******

لا تدري أبضع أيام يصير فيها امرؤ ما هو كل ما لك في هذه الدنيا؟؟ يصير فيها شخص آخر مرآة لك تكون على ما هو عليه ويكون على ما هو عليك!!!

تقص عليه أثناء تجولهما السنين الخوالي.. إخفاقتها، يأسها، اكتئابها، تتحدث عن نفسها بحرية لأول مرة دون أن تخشى عواقب فعلة أثبتت مدى كارثيتها تجارب عديدة وماتزال....

obeikan.com

أما هو....

تحدث بسرية مخابرات متمرسة عن لورا، وضعها في إطار الزوجة الصالحة التي تأبطت روحه في المنفى الجميل....

كان يريد أن يبقيها في قلبه سرًا للأبد..

يشعره هذا الأمر بشيء من القداسة كالصوفي حديث العهد بالعشق الإلهي الذي يتكتم أول نفحات له من العشق الأبدي خشية أن يتهم بالزندقة أو أن يؤول الأمر إلى خرافة تفقد شبقها بتكرار قولها

"زوجة طيبة مكافحة توفاها الله بعد إنذار لنا بمرض لعين".

لم يكذب أحمد ولم يصدق أيضا!!

تحاول نانسي أن تستجدي ذاكرتها لتحكي وتحكي لكنها تكتشف أن أحمد هو بداية الحياة الحقيقية وكأنه جاء ليجُب ما قبله.

******

"حاولتُ أن أجد عملا يشغلني عن التفكير في مأساتي.. تركني أبحث.. على الرغم من أني لم أكمل دراستي وليس لدي أي خبرة في أي عمل إلا أن صاحب شركة ما قدمت فيها قبلني على الفور وها أنا سأفرح..."

- لا قلت لا

- لماذا؟ تركتني أبحث وكنت تشجعني وعندما وافقوا أنت الذي ترفض!

- واجبك هنا تهتمين بي وببيتك وأولادك اللذين فشلتِ في إنجابهم!

- أنا لم أفشل يا حمدي هذه إرادة الله لم يشأ بعد...

- وما هي طبيعة العمل؟

- سكرتيرة فـ شركة القاهرة للـ.....

- عشيقة قصدك؟!

- أنت قذر..

- هاهاهاهاها وأنتِ لن تخرجي من هنا إلا على ظهرِك.

******

يختلج قلبها بمشاعر متضاربة.. تفصح للورق أول مرة بحرية وبغير تورية وكلمات مقتضبة تؤخذ على محمل الفن جلست لتخط كل ما في جوفها من كلمات:

"ماذا يريد مني؟؟

ثقافتان مختلفتان، متحرر كثيرا، هل هذا ما يضايقني أم ما يثيرني !!

لا أعرف..

الذي أعرفه جيدا أنه طريق للمغامرة محفوف بالمخاطر.. أهذا ما يخفني فعلا أم ما يجعلني ثملة أتمنى لقائه فور مغادرته بثوان معدودة!!

obeikan.com

أحمد عارف...

ثمة موسيقى تصدح من بعيد وبحر وركض وضحك و....

إنه يجعلني أحلم...

فرنسا... برج إيفل.. بنات شقروات حسنوات.. لغة مصطلحتها تصدح بالموسيقى كتلك التي أسمعها من بعيد عندما أفكر فيه.. لم أعبأ يوما بتلك البلد ولا أعرف عنها إلا ما يعرفه أي شخص محدود الأفق لم يبرح قط مدينته. نهمي لمعرفة بلاد لم أزرها يصفها لي كأني فيها للتو.. أكاد أجزم أن فرنسا ليست بهذا الجمال إلا لأن الذي يصفها هو.. هو الذي يخلب العقول ويزخم الروح بالإثارة والحياة...

مقهى لي دو ماغو في باريس.. شارع المادلين.. شارع بونابرت.. ساحل الريفيرا... أماكن زرتها بعينيه كأنما أمتطي الهواء وأتنزه فيها معه...

باريس عاشقة جميلة تنتظر معشوقها لتصير أجمل".

تطوي الورقة ثم تدثرها في آخر كتاب على المكتب وتتجه إلى شرفتها...

تزيح الستار.. تفتح أبواب الشرفة بكلتا يديها وتترك النسيم يعبث بشعرها الليلي في استسلام بالغ..

صوت الكروان يهزج بالأمل في جوف العتمة... حمامة بيضاء تخرج من مخبأها في وقت غير معهود... صوت الضفادع المتلاحق ليس مقززا كما

كان بل حافزا للشجاعة!!

الأصوات يختلف تفسيرها بحسب الحال كذلك الرؤئ والنفحات.. كذلك كل الأشياء!

حينما يبدأ قلبك بالحب... الطبيعة تتأهب لذلك وتسير معك بكل ما فيها إلى هذا الإتجاه

لم يعد هناك ذرة اختيار...

******

"ماذا كان بإمكاني أن أفعل؟؟؟

أأرجع إلى أبي؟؟

مستحيل...

فضلت الموت كل يوم على أن ألقى وجهه ذات يوم..

لم أكن لأستطيع أن أحتمل نظرة شماتة فتحملت بدلا منها...

فعل الخيانة!!

نعم... خانني.. خانني من سلمت نفسي له تسليما...

أتعرف ذاك المشهد المعتاد المقرب إلى قلب معظم مخرجي الأفلام؟؟

ممثلة تقوم بدور زوجة مخلصة تدخل على زوجها فجأة فتجده مستلقي في

obeikan.com

فراش الزوجية مع امرأة و..

لالا لم يحدث!!

لقد حدث ما هو أشنع على قلبي منه... حمدي كان حقيرًا حد الإبداع!

في عيد ميلاده.. اتخذتها فرصة أن أصلح ما بيني وبينه وأحاول إرجاع أي شيء قبل فوات الأوان...

أسورة ذهبية جلبها لي في الأيام الخوالي قبل الزواج... بعتها لأشتري له هاتفا جديدا من النوع "أي فون" كنت أعرف فراغة عينه وحبه للظهور الزائف لذا اشتريت له أحدث هاتف قد نزل السوق مؤخرا وقلت عله يكون سببا في وصل ما قُطع بيننا..

وكشأن أي هاتف ذكي.. به خاصية جديدة لا يعلم عنها الكثيرون...

خاصية تمكنه من تسجيل المكالمات وتحويلها عبر "البلوتوث" إلى الهاتف المراد الإرسال له...

شعور مخزي أن تشعر أن هذا الهاتف الحديدي الذي لا حول له ولا قوة أذكى منك شخصيا!!

بدأت ألتمس حقارة دخيلته.. سوء نواياه.. فرط خبثه وإدعاءه.. شككت رغما عني في المكالمات الطويلة التي يغلق الباب على نفسه فيها يدخل مبتسمًا كأنه على موعد مع تحدٍ ما ويخرج وهو في أسوأ حالاته..

obeikan.com

ظننتها في بادئ الأمر أشياء متعلقة بشركته وموظفيه وكما عودني معه ألا يحكي لي أبدًا عن أي مشاكل في عمله مهما تضائلت في الصغر.. ثار واهتاج حينما رفضت مبداه هذا ثم اضطررت بعدها أن أحترم رغبته ولم أناقشه البتة بعد ذلك معللة لنفسي بأنها أشياء لا تعنيني وأن مشاكل العمل لابد أن تنتهي عند الدخول إلى باب المنزل.

هكذا أقنعت نفسي وما كان أسهل عليَّ مثل أن أقنع نفسي وأخادعها...

تناسيت الأمر برمته وحاولت جاهدة ألا أركز على السلبيات كما ينصحوننا دائما.

ذات يوم.. استيقظ في ميعاد عمله.. دخل إلى الحمام بينما دخلت أنا إلى المطبخ لإعد له الفطور.

عادة محببة إليَّ.. تشغيل بعض الأغاني القديمة أو القرآن الكريم أو موسيقى كلاسيكية هادئة.. المهم أن أحيي هذا البيت الممل الكئيب بأي روح طيبة.. بحثت في هاتفي وغصب عني ضغطت على زر مسح كل شيء من بطاقة الذاكرة.. تضايقت جدًا. ضربت الحائط بيدي وفار الدم في وجهي، لكني قررت ألا أدع أي شيء يعكر صفو حياتي ويأخذ من سلامي المزعوم أو يثنيني عن قراري هذا..

أخذت هاتفه الـ "أي فون" الذي أهديته إياه في عيد ميلاده وكنت قد سجلت عليه معظم الأغاني المحببة لدي لنسمعها سويا في أوقات سمرنا..

لم أتفحص شيئا.. ضغطت على إرسال الكل عبر "البلوتوث" وما إن خرج حتى تم الإرسال في ساعتها...

أعددت له الفطور ثم ألبسته الجاكيت، قبَّلته وودعته مبتسمة لأذهب فورًا إلى الجحيم!!

القدر يساعدنا كثيرا.. لكننا ننسى كل أفضاله عند أول حادثة وشيكة.

كان قد مسح الأغاني التي وضعتها له بحجة إنها حرام وتلهي عن ذكر الله ووضع بدلاً منها رنة دينية معتادة وبضعة ملفات صوتية غريبة!! فتحت إحداها وكانت الطامة الكبرى...

"ميرنا" صديقتي وزوجة الباشمهندس "بهاء" صديقه يبتزها بصور فاضحة لها!

بعضهم هي وزوجها والبعض الآخر بمفردها. استطاع أن يأخذهم بسرقة هاتفها الشخصي في آخر زيارة له في بيتهما.

فقط ينشرهم على صفحات إباحية بصحبة رقمها ورقم زوجها تحت إعلان في منتهى القذارة والدونية غير المسبوقة ليتحول في لحظة العش الهادئ الجميل الذي طالما استضفونا فيه بكرم وطيبة إلى وكر قذر يتوافد عليه البهائم من كل حدب وصوب هذا بالطبع إن لم تستسلم له بإذعان ولو لمرة واحدة!!

الوحيدة التي أعرفها هنا في القاهرة وأثق بها وكانت دائما محل ثقة هي

obeikan.com

وزوجها.. يساومها على أشياء لا تخطر على قلب بشر.. بمنتهى الهدوء والبرود المصطنع يتفاوض معها على دمارها ودمار بيتها الهادئ.

وهي بسذاجتها المعهودة تبكي وتتوسل إليه أن يتركها وشأنها وستعطيه من المال ما يكفي!!!

لم تحملني قدماي.. رميت الهاتف من يدي لا إراديا ثم ألقيت بنفسي على السرير في ذهول وأنا أضحك بحسرة كالمجاذيب!

******

وفي خاطرة من الخواطر المخبأة تتساءل نانسي في حيرة وقلق:

"أكل هذا في إسبوعين؟

اليوم.. الأول من إبريل.. منذ متى أركز في الأيام هكذا؟!

تأكدت أن ما بداخلي ليس مجرد إعجابا فحسب..

أنا على وشك الدخول في ذوبعة عشق يعلم الله مداها...

زئير عاصفة ينوح من بعيد.. وأنا أردد: استرها معنا يا رب.

اصطفق قلبي وأخذ يقرع في جوفي حتى كاد أن يسقط وسط أمعائي بعد هذا اليوم بالذات...

حوار بيننا في مقهانا الأثير.. حوار زهاء خمسة دقائق على أقصى تقدير فعل بي ما فعل..

obeikan.com

- نانسي، أريد أن أحدثك في موضوع هام بالنسبة إليَّ.. أنااااا... (بتلعثم)... لم أكن أريد أن أحدثك في هذا الموضوع.. أخاف أن يجرحك..

- يجرحني؟ لمَ؟

- تكلمت مع إحدى الفتيات منذ فترة.. قبلك.. وما زلت أحدثها كل يوم.. كلمتها أمس عن علاقتي بكِ لأني أفضل الصدق في كل شيء كما إننا لم نفعل شيئا خطأ كي أخفيه.. بصراحة.. لم تتقبل هذا.. هي فتاة عادية كمعظم الشرقيات لا تؤمن بالصداقة البريئة بين الرجل والمرأة.. لكني مشدود لها كأني منوم مغناطيسيا.. كالسائرين نياما.. قلبي يدق منذ أن عرفتها و...

- وما المطلوب مني حاليا؟

قلتها بعصبية داخلية تكاد أن تفتك بقولوني لكني حافظت ما استطعت على هدوئي.

- لا شيء، أريد فقط أن نقلل من محادثتنا اليومية ومقابلتنا أيضا حرصا على مشاعرها لأنها تغ.....

- براحتك طبعا لكن... هذا هزار أم؟

- أهناك هزار في هذه الأمور يا نانسي؟

ضغطت على بطني بيدي خفية فقد خيل إليَّ أن صوت قولوني يسمعه

الجميع.. ابتلعت ريقي بصعوبة وارتعدت من دمعة تهم بأن تقذف نفسها من عيناي.. بينما يضحك هو حتى بدت نواجذه للضرير قائلاً:

- أنتِ طيبة جدًا يا نانسي، لم أرَ مثلك من قبل، ما كل هذه البراءة؟ يخرب بيتك! صعبتِ عليَّ... ما رأيك فيَّ بذمتك؟

- قديمة.

- لكن "دخلت عليكِ". تتكرين؟

قلت له حتى على افتراض هذا، فإنه أمر لا يخصني بشيء، من حقه أن يفعل ما يريد وقت ما يريد، وأن هناك كلمة معينة من أربعة حروف إذا تبادلنا إياها عندئذ سنكون مكبلين برباط مقدس أقوى من العقد وأعتد من الزمن.. بعدها إن مالت مشاعره لأخرى أو مالت مشاعري لآخر فعندئذ ستكون الخيانة التي لا تحتمل النقاش أو التبرير، قال أنه كان يمزح وأني حساسة أكثر من اللازم..

- لا عليك، بالحق لم تقل لي ما رأيك في المشروب الذي طلبته لك؟

-.....

تعمدت تغيير هذا الموضوع بأي طريقة لأن الدمعة السالف ذكرها لم تعد تحتمل الوقوف أكثر من هذا.. مَنِيتُ بالهزيمة.. فلتضحك بانتصارك.. اضحك ملء شدقيك.. تنفست الصعداء. تراخيت بعدها وهو مازال يضحك بأسنانه النضيدة المتسقة ووجهه الأسمر حلو التقاطيع الذي يظهر

في النافذة المقابلة وفي المرآة المجاورة كأن لم يكفِني واحد حتى بُليت بالباقي..

منهكة القوى.. محطمة الأعصاب.. هشة.. واهنة.. ضعيفة يا أحمد.. ضعيفة بك وقوية بك جدًا!

تحييني وتميتني بكلام. مجرد كلام!

كيف يسع لمخلوق – مهما عظمت قوته – أن يحي ويميت والله وحده هو الذي يحي ويميت!

سمعت شيخا متطرفا ذات مرة يقول أن الحب الشديد فيه شيء من الشرك يتوجب على المرء أن يتوب منه قبل فوات الأوان وأن يترك حبيبه ابتغاء مرضاة الله وإلا يعد مشركا عليه ما على المشركين من عقاب!!

أين التطرف في ذلك؟!

صدقت والله.. استغفر الله العظيم.. اللهم توبة قبل أن تشرق شمسك من مغاربها..

كيف يدعو المرء لنفسه من وراء قلبه؟!"

******

عقدتُ النية على ألا أواجهه.. كانت هذه المحادثة هي علقم الختام.. لم أكمل باقي المحادثات حاولت وفشلت. ما كان بإمكاني أن أفعل ذلك..

obeikan.com

هممت بأن أمسحهم لكن شيئا ما أوقفني.. ربما أحتاجهم يوما ما؟ ربما يكونوا لي عونا ودليلاً عليه؟

لا أعرف، لم يخطر ببالي حينها تلك الأفكار... كل ما كان بوسعي هو أن أبعد هذا الهاتف من أمامي كأنه مارد إذا رأيته أو سمعته مرة أخرى فسيعلق صداه في رأسي وعيني للأبد كوسواس قهري ولن أستطيع أن أحيا بعده مجددا!

لذا تركته مكانه على الأرض بعدما ضغطت على زر صامت ثم أزحته بقدمي تحت السرير...

كل ما كان يدور برأسي كيف سأنتقم!!

الانتقام!

ذلك الذي لم يعرف طريقا لعقلي منذ حييت حتى هذه اللحظة...

كانت أي صديقة تغدر بي كنت على الفور أتراجع وأحمل في قلبي ذكرياتي معها وأمضي وحدي في سلام..

حتى أبي على الرغم من كل ما فعله معي ما فكرت يوما أن أؤذيه أو أضايقه بكلمة واحدة حتى ولو كانت صدقا..

الانتقام.. ما كنت أعرف له توصيفا في قاموسي لأني كنت على عزاء دائما أن الله سيعوضني بالكثير..

Obeikan.com

حينها.. لم أكن أريد تعويضا أبدًا! أريد أن يموت بالحسرة كل من أماتني وأطفأ لمعة عيوني للأبد..

لا تستغربوا..

نحن أمة تتفنن في تحويل الملائكيين إلى شياطين لتجلس تمارس دورها العفن في جلدهم والتمثيل بأرواحهم...

هكذا قررت في لحظة أن أتخلى عن ذاتي! أن أكون امرأة غيري..

أي امرأة إلا أنا!

فكرت كعادة أي بلهاء على فطرتها أن أجمع تفاصيلي وألملم لوازمي وأترك له البيت طالبة الطلاق، ضحكت بمرارة في سري!!

أبعد كل هذا يتم الفراق بمنتهى السهولة؟؟ بكل سهولة يقال لي أنتِ طالق بعدما تم تدمير جسدي وروحي بمنتهى الأريحية والتلذذ؟ فعُرف من هذا؟ أين حقي؟؟

أي قانون سيفهم ما أقوله؟؟ خصوصا وإن كل جرائمه جرائم أخلاقية لا تهم القانون كثيرا..

خصوصا وإن كل جرائمه كاملة بلا قطرة دم أو بصمة إبهام..

حمدي في نظر الجميع الرجل المتدين المحترم العصامي الذي بني نفسه بنفسه حتى أوقع كل هذا البناء القذر فوق رأسي..

obeikan.com

من سيفهمني؟؟

أبي مثلا؟؟ لو صدقني عابر في الطريق لا يعرف عني شيئا ما صدقني هذا الرجل أبدًا ولوجُمعت مصاحف العالم أمام عيني.. سيُلبسني ثوبَ الخطأ كما يفعل دائمًا.

ولا يعنيني في شيء أن يصدقني.. مضى عهد النقاش والفهم والقادم أحسن والتعويض ووو.....

مات كل شئ جميل واليوم لن تروا مني إلا كل قبيح على الأقل حتى تتثبت وجهة نظركم عني وتكونوا بالفعل على حق..

فلنفعل تلك الأشياء الموخزة لضمائرنا علَ قلوبنا تقتنع أنها تستحق ما فعلتموه بها..

علَ وطأة الشعور بالظلم والإهانة تهدأ.. ولو مؤقتا....

ماذا أفعل؟؟

فليحضر شيطاني كلي آذان صاغية وكلهم بشاعة تستحق التنكيل...

لنضرب إبليسين بقنبلة واحدة...

******

- سأنتظرِك اليوم. نفس معادنا ونفس مكاننا...

- تمام يا أحمد، ستوحشني..

obeikan.com

- وأنتِ أكثر.. مع السلامة.

هل تعلم شيئا عن نشوة الحديث المقتضب؟ باستطاعتها أن تسطرده في الحديث وتجعله يتكلم أكثر وأكثر لتمارس متعتها في التلذذ بصوته وهو يهمس همسا فتقرب الهاتف إلى أذنيها حتى الالتصاق فتنتشي! أوتتظاهر أحيانا أنها لا تسمع جيدا وأن الشبكة سيئة حتى يغريها بنبرة صوته القوية المرتفعة قليلا فتنتشي أيضا!!

من يجمع صوته بين القوة والحنان هو رجل - بلا شك - سيخلف شيئا وراءه.

تهاوت نانسي على كرسي الشرفة ملقية جسدها بعدم اكتراث لا تكاد تتبين على وجه الدقة هذه الأحاسيس الغامرة فيها حتى إخمص قدميها..

تبتسم ابتسامات بلهاء.. تشعر بتنميل خفيف في أطرافها المتراخية...

الرائي من بعيد يظن أنها منهكة من كثرة الأعباء المنزلية الملقاة على كاهلها وجلست برهة في الشرفة المغلقة تلتقط أنفاسها...

قد مر اليوم شهر على علاقتهما...

ما إن تذكرت هذا الخاطر المفاجئ حتى أسرعت بالداخل تجلب ورقة وقلم لتخط أول مشاعر حقيقية يهتز لها القلب وتعصف بكيانها عصفا...

كما يحب بعض الناس أن يوقفوا زمنا ما حينما يلتقطوا له صورة.. كانت

obeikan.com

تحب هي أن تكتب على الورق أي شعور جديد معه كأنما تخلده للأبد...

"أيمكن أن يكون كل هذا وهما؟؟ الذي أعرفه حد اليقين إني ما شعرتُ بشيء من هذا من قبل.. وأنا لست تلك الفتاة الساذجة التي تمر بأول تجربة في حياتها تجعلها تتعرف على أنوثتها الوليدة! أنا لست التي تتوق لسماع كلمات الإعجاب والحب الموارب بالعكس.. أحمد جاء في وقت كنت زاهدة فيه عن كل شيء حتى السعادة لم أكن أرغب داخليا أن أشعر بها!!

يقولون أنك تحب حينما تكون في أوج استعدادك النفسي أو حينما تكون صحراء قلبك مهيأة لخوض غمار عاصفة جديدة...

ما كل هذا الهراء الذي كنت أقتنع به قبلك؟!! أم أنك كعادتك تطمس فيّ أي مبدأ قبلك لتحط بذورك وترحل تاركًا إياي أرعاها فقط لأنها بذورك أنت. حبيبي يا أحمد..

من كان يصدق إني قد أتخلى عن نصف مبدأ أو نصف معلومة حتى أمام رجل مهما كان!!

ينصحونا كثيرا أن نبتعد عن المكالمات الهاتفية الطويلة والمقابلات الكثيرة حتى يحمونا من هجير التعلق..

ما كل هذا الخبل الذي يدعونه؟ يأتوا الآن ليروا كم فعلت فيَّ "سأنتظرك اليوم في نفس معادنا ونفس مكاننا" فقط حرف زائد وكنت على وشك الانهيار أو التفوه لك بحبي..

obeikan.com

لابد أن تتغير النصائح وتتبدل كل الأشياء الثابتة منذ أن أحببتك..

لا بد أن تُعدَّل مناهج الحب بعد ميلاد رجل مثلك....

ياااااه أمازلت حتى الآن لم تسمعها مني يا أحب الناس لقلبي؟!".

******

عاد في المساء.. كانت حوالي الساعة التاسعة.. أحضرتُ له الغداء تمنيت لو يستحيل الطعام إلى سكاكين أو سموم تخترق معدته وتأكل ببطء من جسده..

أخذت أنظر إلى النار الموقدة وهي تشعل قطعًا من بدنه الملقى في هذا الإناء بدلا من طعامه تمنيت لو...

- أنتِ يا....، أكل هذا تسخنين طبقين!!

الشرر كاد يتطاير من عيني.. هممت بأن أرد له السباب عشرات الأضعاف لكني عاهدت نفسي أن أخفي ما بداخلي وأن أكون طبيعية قدر المستطاع..

هو موت بالبطئ أعلم لكن موت بموت.. منذ متى وقد حييت؟

أحضرت له الطعام وأنا أتحاشى النظر إليه. فرغ من طعامه ثم أحضرت له كوبا من الشاي كالمعتاد...

أخذه من يدي ووضعه بجانبه على الأريكة.. قد فعل تلك الحركة مرات عديدة قبل ذلك وانسكب الشاي عليها.

obeikan.com

أعلم أنه يتمتع بإغاظتي ولو بأتفه الطرق.. لم أنوله ما يربو إليه هذه المرة وبالفعل انسكب الشاي حتى ملأ نصف الأريكة... تظاهرت بأن الأمر لا يهمني... ذهبت إلى المطبخ في صمت لأحضر منشفة.. استدارت لأجده قبالي..

- لم أكن أقصد.. أنتِ التي شغلتيني عندما وقفتِ أمام التلفاز و.....

- لا عليك لم يحدث شيئا (منذ متى كنت تقصد شيئا؟! منذ متى لم أكن أنا السبب؟!)

عندها حدث ما كنت أنعي همه وربما يجعلني أتنحى عن خطتي تماما وليكن ما يكون...

حدجني بنظراته ثم أخذ في تقبيلي بشراهة وأنا أشيح بوجهي كأنما أتفادى أمواسا تقطعني..

لا يعبأ هو.. ومنذ متى كان يعبأ؟؟

ربما أوهمه تضخم الأنا عنده أني أتدلل عليه وأطالبه - بتمنعي هذا - بالمزيد والمزيد!

تكدس في قلبي حينها كل ما جرحني.. وجه أبي وصوته.. المكالمة الأخيرة.. القهر.. السباب.. شعوري بأني عبدة مسلوبة الإرادة.. الاستفزاز.. الاحتياج.. الانتظار.. الخيانة.. القتل بدم بارد.. ابتسامة أسنانه الصفراء والفرح الذي يملأ عينيه حينما يثير حنقي...

obeikan.com

دفعته بأقسى ما أستطيع ثم عدوت نحو الحجرة وأنا أبكي بلا دموع بلا نحيب.. أجدَّ السير ورائي مدفوعا بنار شهوته اللعينة..

لا أطيق رؤيته عموما لكن حين تمتلك ناصيته الشهوة لا أطيق رؤيته لدرجة قد تجعلني أفقأ عيني بلا مبالغة.

كنت أرتدي عباءة منزلية وأربط شعري بطرحة من الوراء شدها بعنف مقيت إلى نفسي..

يااااه حتى أحلامي التي عشقتها تحققت لتوجعني هكذا!

يا طالما حلمت أن يجذبني حبيبي بقوة ويشد شعري بحنان قاسي ليقبلني وهو يعتصر ضلوعي بين أحضانه..

هل من الممكن أن تتحقق أحلامنا ويصحبها كل هذا النفور والبغض؟؟

لا أطيق لمسته كيف أطالب نفسي بما هو أبعد وأشنع؟؟

وخزات وطعنات ومشارط أمواس تقطع جسدي بالطول والعرض بعشوائية تمزق خلاياي أصرخ فلا تتوقف.. أنتحب فلا تشعر.. أبكي فتضحك لقدرتها وتعيد ما بدأته بلا هوادة!!

فلتحترق الخطة.. فليحترق الانتقام.. لاااااااااااااا.. لاااااااااااااااااا

مسكين! يحسبني أقولها من فرط اللذة....

لاااااااااا لا يمكن أن تدخل مياه الصرف هذه بداخلي... سأموت...

obeikan.com

دعيها تدخل.. لم يمت أحد ناقصًا عمر.. ربما تسربت إليَّ بعض من جيناته الخبيثة لتختلط بدمي فتشيطنني وتجعلني أذيقه بها مر ما أذاقني...

قد تلوثت به وحدث ما حدث... لم يعد لي من الأمر شيئا...

انتهينا..

انتهينا يا حمدي...

هرعت بإتجاه الحمام عارية.. أمسكت منشفة كبيرة كانت معلقة على باب الحجرة تواريت بداخلها بجنون خشية أن يراني كأني لم أكن بأحضانه منذ دقيقةعلى أقصى تقدير...

أوصدت باب الحمام. أزحت المنشفة عني وأمعنت النظر إلى جسدي...

ما هذا؟!

لوني أبيض بغيض، كثوب أبيض مزرق غُسل مع ثياب سوداء بهتت عليه بسوداويتها...

أماكن حمراء داكنة كبقع من الشيطان تنبت في قعر الجحيم...

شعر قصير جدًا في رجلي أشعر به وهو يطلع من مسامي عنوة كأنه يتعمد أن يزدني قبحا وشوكا..

نظرت إلى وجهي في المرآة..

ارتعدت للوهلة الأولى.. أحدث قبل ذلك إنك أخذت وقتًا أمام المرآة تتعرف

obeikan.com

فيه على نفسك؟؟

أتمنى لو لم يحدث... إلا لو كنت حمدي أو مثله... أو أبي أو مثله...

رأيت كحلا يملأ وجهي سوادا.. عينان زرقاوان غائرتان لا تكاد تتبينهما..

فم مجروح ينزف دماء بسيطة تقرحت عليه... كعادة جروحي لا تنتظر المداواة.. تلتئم بنفسها بمرور الوقت لتوسمني للأبد بندبات عميقة...

أشحت بوجهي عني.. فتحت صنبور المياه وتركته يبكي لأجلي".

******

حينما يأتي في الصباح غير مبالي

يضع قلمه ونظارته الشمسية بشيء من التعالي..

أدرك توا أنه جاء بجيوشه..

وقرر احتلالي!

٢٠١٥/٤/٢٠

#مذكرات___امرأة___أوفر

******

كانت قبله بعشر دقائق تنتظره على نفس المقعد الأثير المواجه للبحر...

تعرف نانسي مدى حرصه على المواعيد فتحاول أن تأتي قبله بقليل لأنها

obeikan.com

تعلم أن أكثر ما يضايقه هو الانتظار لكن..هل هذا هو السبب الوحيد؟

لا.. ليس هذا ما خطته اليوم بعد عودتها إلى المنزل...

"متعة خاصة جدا في رؤيته وهو قادم نحوي بقامته فارهة الطول وصدره العريض المشعر وابتسامته التي يطير معها عقلي بلا رجعة ويتبقي منه سؤال واحد...

أأنا أعرف هذا الجن الوسيم؟!

يسلم عليَّ كأنما يسلم على صديق له.. سلام اليد العابر المختلط بكلمات كثيرة تلهي الكفوف عن حديثها الممتع.

هو المسئول عن نسبة الدوبامين في دمي...

لماذا تفعل فيَّ كل هذا يا أحمد؟؟

أو السؤال الأهم كيف تفعل في كل هذا؟؟

كان في غاية الوسامة اليوم..

يرتدي قميصا أسود اللون ضيقا يلتصق بعضلات ذراعيه مفتوحة إزاره الأولية فلنكن طيبي النوايا وننسب الأمر لحرارة الجو فقط... بنطالا أسود أيضا بحزام أغمق قليلا.. نظارة شمسية من النوع "ريبان" وضعها أمامه بلا اهتمام ومال بجانبه الأيمن ليخرج من جيبه منديلا يمسح به ندى وجهه الأسمر وهو يبتسم لي..

obeikan.com

ثم أزاح بعض خصلات شعره الحريري الفاحم إلى الوراء...

يارب..

إني تعبت من التفاصيل الصغيرة.

داعبته بنظرات ثابتة رغما عني.. وعندما أردت أن أواري خجلي تفوهت بكلمات أضاعت ما تبقى لي من خجل!!

كانت أول مرة أشاكس رجلا في جماله وخفة دمه وعذوبة تفاصيله..

أول مرة أعرف أن للرجال فتنة.. ليتك أبقيتني على جهلي.

قلت له مازحة:

- متي سنراك بثوب العفاف يا أخي؟

ضحك وهو يميل برأسه للوراء كأنما لم يضحك من قبل.. لأسعد أنا كما لم أسعد من قبل.. لا يوجد ما هو أجمل من أن ترى حبيبك يضحك لك وبسببك.

أول مرة يلفت انتباهي عطرا رجوليا مهما بلغت فخامته.. لأني اكتشفت يا أعزائي أن العطر الفرنسي بلا أي قيمة إن لم يختلط عبيره برائحة الرجولة المصرية النشأة..

هذا الحديث يتعبني.. فلنرجئه حاليا".

******

obeikan.com

وفي اليوم التالي نزلت أبتاع حاجيات للمنزل.. بعدما ألحت عليه طبعا ألا يغلق عليَّ الباب من الخارج وهو ذاهب إلى عمله..

كان هذا عقابا لي على موافقة صاحب العمل !

يا ترى ماذا فعلت كي يوافق عليَّ بهذه السهولة؟! هكذا كان يفكر...

لا يمكن وصف حقارة فكره إلا إذا أتينا بقاموس الزرائب وانتقينا منه ما يكفي لوصف ولو بعض منه ولن يكفي...

استهلكت كل طاقتي في الإقناع والزن لم يقتنع بالطبع لكنه كان مشغولا جدا بقذارة جديدة فلم يشأ أن أشغله..

وافق على مضض وهددني بأنها مرة واحدة لن تتكرر وأن أرتدي ثيابا محتشمة وحجابا على الرغم من كوني غير محجبة كي لا يقولوا زوجة الأستاذ حمدي الملتحي متبرجة تبرج الجاهلية الأولى.

وافقت فورا قبل أن يبدل رأيه كعادته الوقحة...

خرجت من السجن أقصد من المنزل الفخم.. لفحتْ وجهي نسمة باردة رطبته عالرغم من كونه يوم مشمس قليلا، أول أيام ديسمبر٢٠١٤.

فستان أبيض منقط بالكحلي تحت الركبة يتوسطه شريط أحمر بـ "فيونكة" صغيرة من الجانب.. وحذاء أبيض رياضي كنت أشعر أني أطير به على الأرض.. أقعص شعري على هيئة ذيل حصان طويل بني مرفوعا بـ "توكة"

حمراء.. قليل من المكياج." أي لينر وروج أحمر" غير فاقع.

هكذا كانت آخر مرة رآني عليها الدكتور عصام صديق الفضائيات والندوات المجانية للعامة وهو خارجا من عيادته في الطابق العاشر منذ تسعة أشهر تقريبا...

حملق وفغر فاه.. لم يستطع أن يخفي هذه الدهشة الممزوجة بالشفقة حينما رآني على حالتي اليوم..

وجه أصفر ذابل.. شريطان سوداوان تحت عيناي يبدو كلا منهما كشريط نعي المتوفيين في إعلانات الوفيات... بنطال أسود قماش وبلوزة بني سادة فضفاضة تبدو كأنها ستنزلق إلى الأرض من فرط كبرها على جسمي.. مكرمشة رثة بالية.. طرحة سوداء يتدلى منها شعر أشعث رُبط بشريطة نصف مفكوكة على هيئة ذيل مبتور لفرسة أعدمت للتو على يد حكومة طاغية.

قابلته عند باب العمارة.. راعاه منظري.. سألني بتعجب...

- مدام ملك زوجة الأستاذ حمدي؟؟

- نعم، كيف حالك ياد كتور؟

- أنا الحمد لله بخير، هل أنتِ بخير؟

- الحمد لله على كل حال..

obeikan.com

- ما رأيك أن تزوريني في عيادتي نحتسي قهوتنا لن أطالبك إلا بثمنها فقط

ضحكت بنصف فم وغمغمت:

- إن شاء الله...

- لا أنا لا أعترف "بعزومة المركبية" يا عالم متى سآراكِ مرة أخرى، سآراكِ غدا الساعة الرابعة عصرا في العيادة إن لم تمانعي طبعًا..

لم يعطيني فرصة للتفكير... بلا إرادة وافقت حتى بدون أن أعرف فيم يريدني بالضبط!

تهلل وجهه.. شكرني وهو يسلم عليَّ ومضى في طريقه!

******

خرجا من "الكافيه" اتجها لسيارته ودلفا إليها.. نظرا إلى بعضهما وقبل أن يشغل سيارته راعاه كثيرا حالها فلم تكن تتأمله كما اعتاد أن تفعل.. بل أراحت ظهرها للوراء. أطبقت عينيها مبتسمة ابتسامة يفوح من عبيرها أعلى مراتب الرضا والسلام النفسي...

منذ متى لم يشعر أحمد بمثل هذا الشعور؟ غبطها كثيرا.. اقتحم سلامها بفضوله المثير...

- بم تفكرين؟؟

فتحت عينيها ومازالت تلك الابتسامة لم يشوبها شائبة:

- لا شيء...

- لا قولي لي بم كنتِ تفكرين في هذه اللحظة بالذات؟!

لا تحب نانسي هذا السؤال.. ربما تخجل من الإجابة عليه في معظم الأوقات أو ربما لا تستطيع التعبير عن أفكارها بشكل دقيق إلا حينما تكتبها..

كانت تتخيل أنها ترتدي نفس الجاكت الجلدي الذي كان يرتديه في صورة له على هاتفه.. نفس درجة الجينز والكوفية وأكبر مصوِّر في مصر يلتقط لهما صورة تصبح تميمة حظ كل العاشقين بعدهما.. ولأنها تكره ألا تريحه فقد جاوبت على سؤاله بكل صدق...

- امممم نكتب تحتها أحمد ونانسي.. لا يمكن أن أكتب بجانب اسمك شيئا آخر.. سأكتب اسمي فقط.. أحمد ونانسي..لا أطمح إلى أن نكوِّن ثنائيا مشهورا لكني أطمح جداااا أن نكون... أن نكووون... أن نكون ماذا؟؟

قالتها وهي تنتظر الإجابة بحرقة شوق أخاذة وموجعة وجعا لذيذا..

- امممم... أطولي قليلا وأعدك انني سأفكر في الأمر مرة أخرى!

يحب أحمد أن يخلط الجد بالهزل كما يحب أن يثير أعصابها حتى يرى ذلك الجانب المضيء الذي يقول أنه ينبعث منها حينما تغضب!

- لستُ قصيرة أنت الطويل أكثر من اللازم.. أكثر من الطبيعي.. العيب فيك..

obeikan.com

تقولها بعصبية مفتعلة وهي تبتسم ثم تسرح غائمة وتعود ثانية..

- عارف يا أحمد...

نظر إليها بتركيز فتلاشى كل ما في عقلها أمام سحرعينيه..

- نسيت ماذا كنت سأقول.

- لا أرجوكِ تذكري..

- ليس لدي ما يذكر سوى أنني عرفتك يوما.

******

مضيت أنا أيضا في طريقي الذي لا أعرفه إطلاقا..

مشيت على آخر الرصيف بمحاذاة الأشجار أتحاشى النظر إلى الناس كأني ارتكبت جريمة شنعاء للتو أو هاربة من السجن.. تخفيت في نظارة شمسية سوداء قاتمة وأمسكت حقيبتي بضراوة كأنما أستمد منها القوة...

ماذا يريد هذا الطبيب؟

كان عجولا كعادته.. بالطبع وراءه مسئوليات تنوء الأكتاف عن حملها..

يااااه هذا الطبيب الذي يحجز عنده الناس قبلها بشهور يريد أن يقابلني بهذا الإصرار! غريبة!

طلبه أن يقابلني في العيادة تدع أي مجال للشك في أنه يريد شيئا ما،

obeikan.com

العيادة تعج بالزوار طوال اليوم ولا تهدأ حتى وإن كان غير موجود.. كما أنه رجل مشهور صاحب فكر ذا وجه صبوح متفائل تحبه الناس من قلبها فعلا.

منك لله يا حمدي.. جعلتني أشك في كل من حولي وأنظر لنفسي حتى بعين الريبة.. منك لله...

لالا لن أذهب! أكيد لو حكيت له سيحدثني بسماحته السمجة عن التسامح والصفح والعفو والهرطقات الفكرية التي جعلت أمثال حمدي يظنون ألا حول لنا ولا قوة.. لالا لن أذهب...

ربما يثنيني عن خطتي بالتنكيل به.. ربما يريد أن يستغلني في تحضير دراسة أم بحث أم أي هباب من شغلهم...

لا لن أذهب.

******

وفي سرها كان يتردد هذا الحديث:

"كيف لك أن تعلم كم أنا فتاة ضائعة!

ألا ترى الخيبة تجتاح كياني كلما ابتعد حديثنا عن حدود العشق؟

ألا ترى انفراج بسمتي وتلك الفرحة البيضاء التي بدأت تغزو قلب مصبوغة أركانه بالسواد القاتم؟

ألا تدرك ما تعانيه فتاة فقدت عذرية حلمها بالحب في طريق طويل امتلأ

obeikan.com

بأشلاء قلبها على باب كل حكاية؟!

لقد قضيت نحبي حتى ميلادك في قلبي.. بُعثت من جديد. ظللت أبحث في أرواح الرجال عن عشق صادق بلا زيف.. عن حب جارف بلا ادعاء حتى ضاعت ملامح روحي ولم يتبقَ منها ما يكفي..

أعذر حنيني إليك فما عدت أحتمل الصبر ولا مكان بداخلي لهراء خيبة جديدة بل أنا في حاجة لرجل مثلك بلا سبب.

لحب لا يعرف خيانة.. لكلمات فاصلة لا تعرف التأويل.. لصدر يحتوي ولا يهشم.

لرجل استثنائي لا يشبه باقي الرجال.. أعذر رفات حلمي فيك أو...

لا ترحل!"

******

في اليوم التالي.. الثاني من ديسمبر.. في تمام الساعة الثالثة والنصف كنت أستعد لزيارة دكتور عصام.

اختلقت حجة كي أخرج بها.. لا أخفيكم سرا تعلمت بعض أمور اللوع والمراوغة على يد حبيبي الوقح..

كلمت زوجة حارس العمارة في "الإنتركم" وأبلغتها بضرورة أن تترك ما في يدها حالاً و تأتي لتأخذ السجاجيد وتغسلهم في سطوح العمارة.أبلغته

obeikan.com

مسبقا قبل الذهاب إلى عمله ألا يغلق الباب من الخارج اليوم لأني ذاهبة لأباشر عمل زوجة الحارس لأنها لا تتقنه إلا إذا كنت واقفة فوق رأسها.. وافق الحمار على الفور بالطبع لأنه سيوفر ثمن "الدراي كلين" ولانشغاله المفرط ببرسيم دسم لا أعرفه ولا أريد أن أعرفه.

صعدت "بالأسانسير" إلى الطابق العاشر.. الطابق العاشر كله عبارة عن عيادته... هي تعتبر مؤسسة للاستشارات النفسية أكثر منها عيادة..

لم أركز في أية تفاصيل.. اتجهت إلى مكتب السكرتارية... كان في وجهي مباشرة.. سألتني هي على الفور..

- مدام ملك؟

- نعم

- ميعاد حضرتك الساعة الرابعة، فلتنتظري خمسة دقائق في هذه الردهة من فضلك.

قبيل نومها.. تسرع تلك الأفكار إليها لتأخذ من سعادتها أشياء كثيرة...

******

"هل يتوجب على أن أطلبه لخطبتي!!

لالا كيف هذا لالالا.. لابد أن أنتظر.. أنتظر ماذا؟

أن يعلن حبه لي على الأقل..

obeikan.com

أحمد يحبني بالطبع مثلما أحبه.. أيمكن أن يكون هذا تسالي ومضيا لبعض الوقت اللطيف معي؟؟ مستحيل.. نظراته تفضحه.. شوقه لرؤيتي.. اهتمامه بي.. كلامه الموارب.. أكل هذا على محمل الصداقة مثلا؟؟

لا أعتقد..

إذن لماذا لم يفاتحني في أمور الزواج؟؟ أليس مستعدا؟؟ أم أنه غير متأكد من مشاعره ناحيتي ويريد بعض الوقت كي يتأكد أكثر؟!

قال لي ذات مرة أن الرجل إذا وقع في الحب لا يتردد... إذن هو لم يقع بعد!!

مجرد الفكرة تجعل الدموع تترقرق في عيني وينخلع لها قلبي انخلاعا.. ربما أنا متسرعة وأريد أن نتخطى مرحلة البداية التي أخذت وقتها بما يكفي؟

وما هو الوقت المحدد لإنهاء البدايات؟؟ شهر أم اثنان أم ثلاث أم؟؟.....

هب أنه حادثني في موضوع الخطبة كيف سأوافق أنا على طلبه بسهولة؟ لا يجب أن أكذب على ذاتي.. مازال هناك بقايا يأس وإحباط وخوف مبهم من الفشل.. خُطِبت خمس مرات ولم أعد أحتمل مزيدا من الفشل.. أريد أن يعرض هو عليَّ الأمر. يشجعني.. يقف في ظهري ولايتخلى عني أبدا!!!... أريد أن يحمسني ويقويني به.. أريدها أن تأتي منك يا أحمد...

وأبي.. أتناسيت أبي؟!

obeikan.com

بعدما فسخت آخر خطوبة لي وأعطيت العريس شبكته أقسم يومها أني – مثل أمي – لن أعمر وليس لي في الطيب نصيب وأنه لن يتدخل في خطبة لي مرة أخرى.. ربما كان تهديدًا؟؟ وما ذنبي فإني لم أجد شخصا يفهمني ويتفق معي في الميول والأراء والفكر؟

لم أجد شخصًا يحبني على ما أنا عليه، وأحبه على ما هو عليه. ما ذنبي حقا؟ كان بمقدوري أن أعرف شبابا بعدد شعر رأسي وأن أقيم علاقات من وراء ظهره، أذنبت حينما كنت أفعل كل شيء في النور وأمام عينيه؟ أي مجتمع هذا الذي أعيش فيه؟ يعشقون من ينافقهم ويتلاعب بهم بملايين الأقنعة.. أما الذي يصارحهم ويخاطبهم بوجهه الحقيقي ينفرون منه ويتهمونه أبشع التهم...

الشيء الوحيد الذي أخطأت فيه هو أنني لم أكن أعرف نفسي. لم أكن أعرف ماذا أريد بالضبط... كان أي "عريس" يتقدم لي يثير بداخلي أحلام الحب والعشق التي قرأت عنها في الروايات لكنني كنت واهمة. كنت أتوق للحب لكني لم أذقه.. كنت أريد أن أسمع كلاما حلوا وأقول كلاما حلوا لكني كنت أنظر لكل هذا من فوق وكأنه يحدث لبنت غيري أو كأنها مشاهد رومانسية لفيلم رتيب يفصلني عنه مسافات لا تتحدد..

إلى أن عرفت أحمد. عرفت نفسي.. عرفت ما هو الحب...

كما قال إيليا أبو ماضي:

obeikan.com

إن نفسا لم يشرق الحب فيها .. هي نفس لا تدري ما معناها

أنا بالحب قد وصلتُ إلى نفسي .. وبالحب قد عرفت اللهَ.

غصت بقدمي في شاطئه أحسست بنفسي بروحي بعقلي وتلاشى ذاك الإحساس الدائم بأني طائرة فوق العلاقة أنظر لها من فوق بحيرة وقلق مبهم.

أكثر ما أود فعله الآن أن أرتمي بأحضانك يا أحمد أبكي وأحكي لك عن كل هذا لكن للأسف أنت آخر شخص يجدر به معرفة أشياء كتلك...

ليتك تبدأ وتطمئني على نفسي معك، ليتك تخلصني مما أنا فيه ياحبيب الروح".

******

جالسا على مقعد أمام مكتبه الفخم.أمامه ورقا قديما يبدو أنه كان يطالعه قبل دخولي..

يرتدي قميصا أزرق ونظارة طبية أنيقة تخفي وراءها عينان تتقدان بلمعان الذكاء..

ما إن رآني حتى ابتسم ابتسامة لطيفة ودعاني للجلوس على المقعد المقابل للمكتب وهو يقول بصوته الدافئ المريح للأعصاب (مثلما تصفه إحدى المذيعات في القناة الفضائية التي يظهر فيها):

- كيف حالك يامدام ملك؟

- بخير..

- لا لو كنتِ بخير ما كنتُ دعوتِك اليوم!

- ووحضرتك دعوتني لِمَ؟

- مدام ملك.أنا طبيب نفسي ضيفي على هذا الآف الكتب قرأتها بوعي.. مئات المحاضرات العلمية العالمية... حتى وصلت إلى درجة أن أعرف طباع الأشخاص من حروف رسائلهم.. لن أطيل عليكِ.. أنتِ التي بعثتِ لي رسالة على "إيميلي" من حوالي بضعة أشهر عن تصرفات زوجك الشاذة ونفسيتك المحطمة جراء ما يفعله...

فتحت عيناي على سعتهما كمن يسمع عرافة تقرأ الفنجان لتخبره بأسراره السابقة.. بالفعل منذ فترة بعثت له رسالة طويلة عبرت فيها عن كل ما بداخلي.. بعثتها من بريد إلكتروني مستعار. لم يرد عليَّ فتناسيت الأمر برمته. لم أتضايق منه فأنا أعلم مسئولياته الشاقة وأن رسالتي ربما ضلت طريقها وسط مئات الرسائل التي تأتي له كل يوم...

- كيف عرفت!

-لا عليك.. ربما آن الأوان أن نقوم بحقوق الجار.. النبي وصى على سابع جار..

obeikan.com

- النبي وصى على سابع جار أم الأبحاث الجديدة هي التي وصت؟

- أنا أقدر حالتك وأعي ذلك تماما، يعلم الله إني أريد مساعدتك بلا أي مقابل وإن أردتِ الصدق التام أنا ساساعدك لأني تعرضت في صغري لشخصية مثل شخصية زوجك.. زوجة أبي سامحها الله.. عانيت بسببها – فترة لا بأس بها – من فقدان الثقة بالنفس والرهاب الاجتماعي وتلعثم اللسان..

أرتعد من فكرة أنه يوجد شخص يتعذب على يد شخصية سيكوباتية مريضة لا أحد يعلم أنها لا تقل خطرا عن القنبلة النووية ولا هي حتى!

- لكن كيف عرفت إني صاحبة الرسالة؟ وكيف شخصتِ حالته دون أنـ....

- ربطتُ بعض الأحداث ببعضها.. تغير مظهرك للنقيض تماما.. تصرفات الأستاذ حمدي وتعامله المريض مع الجيران وحارس العمارة.. كثيرا ما يشكو إليَّ كي أطيب بخاطره وكلما قابلني يقول متهكما بأسى "والنبي تعالجه عندك يا دكتور ينوبك ثواب"

بالإضافة لأنكِ أخطأتِ وذكرتِ اسمه في سياق الرسالة...

ثم ساد صمت مطبق قطعه بقوله:

- هناك قائمة بالأعراض السيكوباتية لـ "روبرت هير" إذا انتفى شرط منها لا يعد سيكوباتي من الأساس.. وحتى الآن الشروط كلها متوافرة فيه لكن دعينا نقول إنه ليس حكما نهائيا حتى نعرف بعض التفاصيل الهامة...

obeikan.com

صمتٌ طويلا ثم فرّت بعض الدموع من عيني.. طلب مني أن استرخي على الشازلونج..

- ها.. تحبين أن تبدأي من أين؟

- دمرني، التهم روحي بأسنانه، أنا.. أنا لم أكن كذلك.. أنا كنت جميلة جدا.. شعري.. شعري كان ناعما جدا.. وو و وكنت بيضاء جدا و... لست نحيفة بهذا الشكل.. أنا... أنا.. كنت نظيفة جدا..ك ك كنت أتحمم كثيرا وأهتم بنفسي...أنا أكرهه كره العمي ولن أفرط في حقي أبدا.. لن أسامح مهما حدث.. لن أنتظر عقاب الله سأباغته أنا بعقابي ولن يفلت.. لن يفلت يا دكتور عصام.. فاهم أممم؟ لماذا لا ترد؟

- أكملي، أكملي حتى أسألكِ أنا.

- لا أعرف إن كنت سأستطيع المجيء إلى هنا مرة أخرى أم لا، أنا ممنوعة من الخروج، تحملت الأكثر من هذا بمراحل لتفائلي الأعمى بأنه سيعود إلى سابق عهده، وأنه ربما يمر بأزمة نفسية ولابد أن أقف بجانبه في محنته ولا أتخلى عنه خصوصا وأنه كان يعاملني برفق طوال مدة خطبتنا فكان له رصيد جيد من الحب والتفاني في قلبي.. فصبرت وتجلدت معللة دائما إنها سحابة صيف وستمر وسننعم بالربيع باقي أيام حياتنا.. لكن أنا لن أتركه.. لن أتركه بسهولة.. سأقضي عليه.. سأجعله يتمنى الموت كل ليلة..

مر تسعة أشهر على هذا الحال.. تسعة أشهر كفيلة بأن تلد من رحم هذه

الحياة البغيضة ملك جديدة تماما.. تحب أن أحكِ لك عن ملك القديمة أم ملك الجديدة؟

- أحكي ماتريدين... وسأوقفك أنا لأستفسر لكن أحكي ببطء قليلا لأني أكتب بعض الملحوظات أثناء كلامك..

******

معك وحدك.. كذبت الطبيعة حينما قالت أن الأقطاب المتشابهة تتنافر!

٢٠١٥/٤/٢٣

#مذكرات___امرأة___أوفر

******

كنا نسير بعربته في الطريق المؤدي إلى بيتي بعد نهاية يوم ليته لم ينتهي أبدا...

لا يمكنني أن أصف لكم طريقا إذا كان أحمد بجانبي.. يستحيل كل ما حولي في لحظة إلى ضباب غائم بلون واحد يميل إلى الوردي والأبيض إذا كان الجو نهارًا ويميل إلى الزرقة اللامعة إذا كان الجو مساء.. وكل التفاصيل بداخلهما باهتة في ذاكرتي تماما حيث يقف أحمد يسد الكون أمامي فلا أرى ما عداه.. أو يسير بجواري فلا أرى سوانا...

يشغل الأغاني التي نحبها. يتراقص برجولة خلابة. يدندن بالفرنسية

obeikan.com

كلمات لا أتبينها لأني لا أعرف الفرنسية مطلقًا إلا بضعة كلمات وديباجات رتيبة علقت في ذهني منذ دراستي الثانوية لكني أشعر بقلبي أني أفهمه وأدرك مايقوله...

غير أني كثيرا ما ألاحظ عليه مسحة شجن غريبة تدفعك للتساؤل والحيرة والغموض..

أحمد يملك حس فني راقي رغم إنه لم يخط شيئا بيده مرة لكن بالطبع شأنه كشأن كل الأناس مرهفي الحس.. بأعينهم ناي عذب وعلى شفتاهم ابتسامة موسيقى شجية..

ربما بسبب زوجته المتوفية؟ أما زال يحبها؟ اممم.. أم بسبب كل الترهات الفكرية التي يراها حوله والتصرفات المتخلفة التي ضاق بها منذ أن جاء من فرنسا؟

لا أعلم على وجه الدقة ما يثير شجونه الخفية ولا أتساءل عنها كثيرا.. يجب ألا أدع دقيقة تمر علينا دون سعادة.. لا أسأل أنا عن أشياء إن تبد لي تسؤني.. أحب أن أظل معه هكذا.. الغبية الجميلة! يقولون إن الغباء لا يجتمع مع الجمال في نقطة واحدة.

أنا وأحمد نكسر كل القواعد لنكون كالعادة...

استثناء الكون الأبدي.

******

obeikan.com

حكيتُ له كيف منع عني كل مظاهر الحياة، منعني من العمل، منعني من الذهاب إلى النادي، من الذهاب لميرنا صديقتي زوجة صديقه التي عرفني عليها هو، وطلب مني أن أصادقها وأوطد علاقتي بها.. لم أكن أعلم بالطبع أنه يريدني سلم إليها كي يعرف تفاصيل دقيقة عن جسدها وعن علاقتها الحميمة بزوجها كي يستغلها في أي شيء وقح من أفعاله التي لا أستطيع التنبؤ بها مطلقا...

منعت نفسي من الحمل قصدا بعدما كان طبيعيا.. لأني كنت أعلم أنه حِمل وليس حَمل ولم أشأ أن أرَ طفلا يشبهه في أي شيء حتى ولو كان هذا الطفل ابني.. كنت سأبغضه أيضا!

بعدما عرفت قذارته.. تنبهت لكل تفاصيله السابقة والحالية.. أصبح عندي لكل فعل تفسير ووصف دقيق.. لا أستطيع مهما حاولت أن أصف قدر صدمتي في شخص كنت أرسمه على ورقي بجناحين ولا ألونه.. أتركه ببياض الصفحة وأستقل بياضها عليه!!

لم أجد أمامي إلا "النت".. لم أكن متعلقة بمواقع التواصل الاجتماعي ولا أجد فيها أي متعة مما يذكرونها الناس.. لكني أردت أن أتتبع سيره فيها.. كان بداخلي فضول طفل لم يُقمع أبدا!!

بالصدفة البحتة وأنا أرتب الحجرة عثرت على ورقة فيها "إيميلات" كثيرة بأرقامها السرية..أدخلتها على"اللاب" وعرفت ما عرفت..

الحقائق كالمصائب لا تأتي فرادى...

- ماذا عرفتِ؟

- حسابه الشخصي المعروف للجميع المليء بالأدعية الدينية والطاقة الإيجابية والأخلاق الحميدة.. كان بالنسبة إليَّ لا يقل دعارة عن صفحات العاهرات التي رأيته مشترك فيها ولا يقل دعارة عن حساب آخر باسم مستعار يمارس فيه شيطانيته ومرضه..

- رأيتِ كلاما عن الجنس مبالغ فيه وأذاكِ نفسيا.. أعتذر لكِ...

- هههههههه... اعتذر لي عن الحساب المحترم صاحب الأخلاق والتدين والفضيلة أما هذا الحساب الداعر فما رأيت أشرف منه!

- كيف؟

- حتى العاهرات لم يسلمن من أذاه.. لم يكن يحب أن يقيم علاقات معهن.. كان يتمتع بإيذائهن فقط.. يمارس عليهن ساديته ثم يوسعهن ضربا ولا يعطيهن شيئا مقابل هذا.. ولن تستطيع واحدة منهن أن تفعل حياله أي شيء.. ليس لدينا قانونا يحمي الشرفاء فهل سيكون لدينا قانونا يحمي العاهرات مثلا؟ ولا واحدة منهن تجرأت على فضحه إلا من خلال هذا الحساب اللعين.. تحذر أقرانها من التعامل معه.. ثم تسبه وتلعنه في تعليقات على حسابه الذي لا يحمل حتى اسمه الحقيقي.. فلتضرب رأسها في أرسى جبل.. بذمتك هذا مثير للشفقة أم للسخط؟؟

obeikan.com

تحدثت في "الشات" مع واحدة منهن أوهمتها بأني جديدة في "الكار" وأنه عرض عليَّ مبلغ كبير جدا! وأريد نصيحتها لأنها أكثر خبرة ومراسا مني..

في بادئ الأمر ظنت أني مدفوعة منه لاستدراجها.. فسبتني بأقذع السباب من جد جدودي حتى حفيد أحفادي ثم هدأت... تركتها ولم أرد عليها...

بعدها ببضعة أيام.. بادرتني هي بالحديث! نصحتني مرارا أن أبتعد عن هذا الطريق وإن لم يكن من الأمر بد.. فلابد أن أبتعد عن هذا الشخص بالذات ولو وضع ملايين تحت أقدامي..

سألتها: لِمَ؟ غابت في الرد..

تعرفينه منذ متى؟

قالت إنها لم تتم معه غير ليلة واحدة ولم تتحدث معه في أي شيء غير الشجار المادي لأنه رفض إعطاءها حقها.. ثم كررت "حتى لو أعطاكِ مال قارون. إياكِ"... ثم قامت بحظري من صفحتها.

أرأيتَ شرفا أكثر من هذا؟؟

******

في مكان جديد غير "الكافيه" المعتاد.. ينظران إلى شاطئ البحر الذي يفصله عنهما قطع حجرية ضخمة نمت عليها أعشاب لزجة بنية اللون وأخرى خضراء كأنها أشجار بلا جذع منقوشة نقشا بارزا على سطح تلك الأحجار.

obeikan.com

تقول نانسي في نفسها كأنما تشجعها وتمهد لها أمرا هاما: "أعرف أنه سيتفهم كلامي تماما وسيقدره ويحترمه"...

- أنا "بحبك" يا أحمد!

صمت أحمد في دهشة وأمعن النظر إليها مبتسما في خجل عذراء ثم وارى دهشته سريعا كأنها لم تضف جديدا!

- "بحبك" يا أحمد..

ثم ساد الصمت برهة.. ليسود في نفسها هذا الحديث:

"طيلة حياتي لا أؤمن باعتراف المرأة لحبيبها وإفصاحها عن مشاعرها بهذا الوضوح.. كأي امرأة شرقية تربت على كتمان المشاعر واختزالها بل وإظهار عكسها حتى تقطع حبال الريب تماما.. حتى جئت أنت...

قلبت الموازين بداخلي، خلايا مخي كأنما توقفت لتستقي أفكارها منك أولا...

ربما كان هناك جينات جنون وصدق صادم في جسدي وجئت أنت لتظهرها أو ربما خلقتَ مني نانسي لا أعرفها، لكني أحببتها مثلما أحببتك".

- أحمد.. أرجوك لا تظن أني أقول هذا لتخطبني أو تتزوجني أنا لا أفكر إلا في حبي لك الخالص.. أريدك فقط أن تعلم ليس أكثر... أيعقل أن يكون هناك شخص يعشقك حد الهوس وأنت لا تعرف حتى؟ في عُرف من هذا؟

obeikan.com

ألا تعرف أن هذه الكتابات لك والشوق لك والحب لك؟؟ حاولت كثيرًا أن أخفي كل هذا وأن أقنع نفسي أن الأمر لا يتعدى كونه وهما وفشلت...أحمد.. كلامي هذا لا يقيدك بشيء ناحيتي... لابد أن تعلم هذا جيدا.. أنا أخفيك سرا أضناني وأتعجب لم كل هذا الحرص على الكتمان؟؟

استنشقتْ نانسي هواء البحر في شهيق عميق عبَّت يودَ البحر كله فيه ولسان حالها يقول..

"تبدل شعوري تماما بعد المكاشفة.. زال القلق والهم.. لا أشعر بشيء أهانني بعد اعترافي له على العكس أشعر كأن حرية الطيور كلها تسبح في فضاء قلبي..

أشعر أن قلبي الصغير يرفرف في حنايا ضلوعي.. كأن اليابس زاح مني ليترك الماء ترطب روحي...

الجحيم لا يسكن إلا في عقلك.. كتبتها ذات يوم وعقلتها الآن فقط ".

- أنا سعيدة يا أحمد.. حتى لو لم تكن تبادلني نفس الشعور.. أنا أحبك وكفى!... أنا أتنفسك...قسط صغير منك كل يوم يبقيني على قيد الحياة.. يكفيني كفافك! أتتذكر تلك الأبيات التي أثنيت عليها من قبل؟ كانت لك وماتزال..

" يكفيني كفافَك!

يكفيني كفك في سلامِك..

قنوعة بك أنا..لا أريد امتلاكَك!

يا قطرا جاب البلدانَ...

حط في محطتي كلما أردت أن تُريحَ قضبانَك".

عندها دمعت نانسي بغزارة.. تلعثمت ولم تستطع الاستطراد..أمسك أحمد وجنتيها بكفيه ومسح بأنامله دموعها ثم سألها:

- لماذا تبكين إذن؟

قالت بارتباك:

- لا أعـرف.. ربمـاااا... أنـا غريبة.. أضحك عند حزني وأبكي عند سعادتي.. فسرني.. أنت تجيدني أكثر مني...

- بيني وبينك أنا أُحَبّ من أول لقطة.

ضحكت وهي تبكي في آن واحد.. لحظات جمع النقيضين في نقطة نذير تلاشي.. تلاشي إحساسها بذاتها... لحظات فقدان البنت لعذرية روحها من اللحظات الفريدة التي يقشعر لها بدن الكون بأكمله.

******

سألني لماذا احتملتُ كل هذا ولم ألجأ إلى أهلي؟ قلتُ له إني لم أكن أريد الفشل... دائما أبي يعاير أمي ويتهمها أنها تدللني أكثر من اللازم... أي خطأ أقترفه بقصد أو بدون كانت تتحمل هي تبعاته كأنها الفاعلة وليست

obeikan.com

أنا!! لذا شعرت عند زواجي بأني أزحت عن ميزانها مغبة ذنوبي.. لم تكن تمتعض لتعليقات أبي السخيفة من فرط ما اعتادت عليها لكنني كنت حساسة أكثر من اللازم ولازمني اعتقادا راسخا أنني كبرت وأنه حان الوقت كي تستريح من عنائي.

هل كنتُ سأحتمل فكرة أنها سبب طلاقي حتى ولو كانت فكرة ليس لها أساس من الصحة؟

سؤاله هذا يحتاج إلى جلسات خاصة للإجابة عليه وحده لأنه لم يكن بالنسبة إلي مجرد سؤال أسأله لنفسي فحسب بل كان وسواسا يأكل عقلي ويفتك بسلامته...

يتراءى لي أحيانا أنه لم يكن هذا السبب الرئيسي بالرغم من أهميته..

كان هناك سبب أقوى.. بعد تغيره تجاهي على هذا النحو.. انتابني شعور يقيني بالذنب ناحيته و أنني المسئولة الوحيدة عن هذا التغير المفاجئ، قلت في نفسي لابد أنني ارتكبت خطأ ما ليس بالهين وأن عليَّ أن أصلح ما أفسدته بأي طريقة ...

كان يتشكل بداخلي هذا الإحساس كل يوم كالجنين الذي بدأ بنطفة ثم لم يلبث إلا أن يكبر بداخلي يوما بعد يوم وكان هو يغذيه أكثر فينمو أكثر وأكثر...

ساعده في ذلك سذاجتي اللا متناهية وضيق دائرة معارفي.. لم يكن لدي

obeikan.com

أي مصدر للمعلومات إلا هو.. أنا لا أحب القراءة عموما لكن أحيانا كنت أميل لقراءة بعض روايات الجيب الرومانسية لكنني مذ عرفته توقفت..

لقد أقنعني بأن أكف عن القراءة بحجة أن الذين يقرأون عن الحب هم المحرومون منه فيقرأون تصبرا وعزاء وأنني بالطبع لست بحاجة إلى تلك الهواية معدومة النفع مادمت التقيت به!

هكذا كان يتسلل إليَّ بكل الطرق المقنعة للأغبياء مثلي كي يسبر أفكاري ويحيطني بهالة من أفكاره هو وحده..شيئا فشيئا بدأ يقطع كل صله لي بأي شخص عداه...

أختي... لا أدري كيف صدقت تلك المهاترات التي قالها عنها؟! لقد أدعى أنها تميل له وتغير مني! وطبعا لم يعيرها هو التفاتا!

كيف لم أشك؟!!! كيف كان يتكلم بكل هذا المنطق والعقلانية؟؟؟

حتى أمي.. عندما لاحظ أننا نطيل أحاديثنا الهاتفية في أول الزواج.. عرف بحنكته وأسلوبه الناعم الملتوي وكلماته الكثيرة التي تلتف كالأفعى حول مسامعي أن يقنعني ألا أخذ نصائحي منها بدعوى أن الزمان تغير وأن نصايح أمس لا تفيد الغد وأنها لم تعرف أن تكسب أبي لصفها.. إلخ

وهكذا بعدتُ عن أقرب الناس إليَّ... بُعد مسافات وبُعد قلوب...

كيف يمكن لشخص أن يستأثر في نفسه كل هذا الدهاء والخبث؟

******

openkan.com

من نافذة "الكافيه" الأثير لحظة غروب..

تصاب نانسي ببعض من الشجن الغريب إذ رأت تلك اللحظة.. سقوط الوضوح والنور في غياهب المياه العميقة الغامضة.. ثم وشاح الكون الرمادي فالأسود حزنا عليها..

نظر إليها وبريق الشوق يلمع في عينيها...

- ما أمنيتِك؟

- أن تخلصَ لي كما أنا أخلص لك.

******

دخلت سكرتيرة أخرى وفي يدها صينية بها كوب من عصير الليمون وفنجان قهوة.. رفضتُ أن أشرب شيئا برغم إلحاحه.. لا أنكر كنت خائفة بعض الشيء!!

مازالت تسيطر عليَّ نظرية المؤامرة وأني هنا لشيء ما.. أعتقد أنه تفهم ذلك بحدسه الشديد فلم يثقل عليَّ.

بعد أن ذهبت السكرتيرة استأنفنا حوارنا...

- لكن ماسبب مرضه يا دكتور؟

- هذا يتطلب الجلوس معه شخصيا ومعرفة دقيقة لحياته الطفولية، مراهقته، البيئة التي نشأ فيها، وبعض المعلومات عن تاريخ عائلته لأن هذا المرض

obeikan.com

تلعب فيه عوامل وراثية إلى حد كبير..

- وهل لأمثالهم تاريخ؟! تاريخ عائلته كله يتلخص في كلمتين " شبعة بعد جوعة اكتب كدا "

- هههههههه والله العظيم أنتِ عسل يا مدام ملك ياسلام لو الطب النفسي بهذه السهولة..

- الله يخليك يا دكتور لكن هل هو مرض نفسي كباقي الأمراض له علاج أم أنها سمات شخصية لاتتغير؟

- هم لا يعتبرون من المرضى النفسيين التقليديين، ولا يعتبرون مثل الأسوياء أيضا!

بل هم حالات مريضة تميل إلى الانحراف، الكذب، اللوع، ارتكاب المخالفات والجرائم والأعمال المنافية للقانون والمعادية للمجتمع، كما أنهم يختلفون عن مرتكبي الجرائم بدافع محدد في ظروف معينة كالسارق الجائع مثلا، ولا يعتبرون من المتخلفين عقليًا، لأن قدراتهم العقلية سليمة بل هم حالات غير سوية وتكون الجذور والبداية عادة منذ الطفولة... فالتنشئة السليمة تجنبنا أشياء كثيرة..

- وهل له علاج؟

- العلاج الجذري لهذه الكارثة هو المواجهة بالقانون الذي يقع الكل تحت طائلته، فالذي يشجع على تفاقم هذه الظاهرة عدم وجود العقاب

obeikan.com

الـرادع، وعدالة السلحفاء، والتهاون في عقاب الـحوادث الفردية حتى تتفاقم وتصبح ظاهرة لا يتم معاقبتها أيضا! ولا تغفلي جانب مهم أيضا وهو اهتمام قضائنا بالماديات فقط! أننا لا نقيم للنفس وزنا! نعترف فقط بالماديات، إذا سرقك أو قتلك هنا نعترف أنه أذاك أما إذا دمرك نفسيا لا بأس! وطبعا قضايا السب والقذف صنعت خصيصا للمشاهير فقط... المضحك المبكي في الموضوع أننا نتهم الغرب بالمادية! الغرب الذي يبيت أبا في السجن إذا تعدى على طفله نفسيا!

هنا تذكرتُ بضبابية بعض المشاهد المدفونة في عقلي عن أبي وافتُتِحتْ ملفات في ذاكرتي لم أدرِ بها فانتابتني حالة من الكآبة والتعكير غير مفهومة...

- أنتِ معي يا ملك؟

انتفضتُ ورجعت إلى واقعي سريعًا...

- "أيوة".. أكمل يا دكتور

- أما بالنسبة للعلاج الفردي فإنه ليس ممكنًا أو يكاد يكون مستحيلا بالرغم من أنني لا أحب هذه الكلمة لأنهم لا يعترفون بأنهم مرضى من الأصل كما أنه لا يوجد علاج دوائي بعينه للشخصية السيكوباتية... لكن تُعطى مضادات اكتئاب ومثبتات مزاج وأشياء من هذا القبيل..

في بعض البلدان المتقدمة التي تهتم بالإنسان يتم وضع هؤلاء المنحرفين

opelikan.com

بعد تشخيص حالتهم بدقة شديدة - وقبل أن تتعدد جرائمهم - في مستشفيات تشبه المعتقلات من حيث النظام الصارم والأمن المتدرب مثل مستشفى "برودمور" في إنجلترا حيث يتم تأهيلهم نفسيا ومجتمعيا..

- هل يوجد ناس كثيرون على هذه الشاكلة؟

- الإحصائيات العالمية تقول إن واحدا من كل مائة شخص عادي هو سيكوباتي، وترتفع هذه النسبة إلي ٤ ٪ من المديرين التنفيذيين ورجال الأعمال... والسيكوباتيون أنواع وليس كلهم على نفس الدرجة من الخطورة..

- امممممممم هناك أمر مهم يجب أن تعرفه..

- ما هو؟

-انتابتني مؤخرًا حالات من فقدان الوعي ورؤية مزدوجة كأني أرى الشيء بنسختين أو نسخ متعددة وحركات تكرارية معينة لا أستطيع تذكرها وشلل بأحد أطرافي. عندما تنتابني هذه الحالة يخاف مني حمدي ومن ثم يحاول تهدئتي.. هو يقول ذلك لكني لا أشعر به أبدا!!!

هذا ما أريد أن تعالجني منه ضروري أما التدمير النفسي الذي خلفه هذا الواطي بأعماقي لا أريد الشفاء منه حاليا!

- لِمَ؟

- لا نارا بدون وقود.

- لا أفهم...

obeikan.com

- شيئا ما يعنيني لا أود الإفصاح عنه.

- إذن فلتعتبريني صديقك يا "ستي" وليس طبيبك الخاص..

- يشرفني أن تكون صديقي يا دكتور.ستعرف حتما عندما يحين الأوان..

لأن حينها لا أحدًا لن يعرف.

******

ذهبت نانسي إلى ملك في بيت الخالة.. بعد أن تناولن وجبة الغداء انفردت نانسي بملك وقصت عليها قصتها مع أحمد بشيء من الاقتضاب ثم دعتها إلى التعرف عليه وأن تأتي للخروج معهما كي تروِّح عن نفسها واثقة بأن أحمد من النوع الساحر الذي يستطيع أن يجذب المرء من دهاليز نفسه، قالت لها ملك محذرة: "لا تخافي إلا من هذا" ضحكت نانسي وهي تطمأنها بأن أحمد صادق و مختلف عن غيره وأنها لم تسترح إلى أحد مثلما استراحت إليه فقاطعتها ملك قائلة بحنق: "تعرفين كم مرة قلتِ لي هذه الجملة"؟ ضحكت نانسي ثانية وهي تحاول أن تقنعها أن أحمد شاب غير اعتيادي وأن خطباتها السابقة كانت خطأ في خطأ كلها تمت بسرعة جنونية دون أدنى تعقل أو تفكير بروية، كلها كانت تفرض نفسها عليها فرضا، إلحاح والدتها، فراغها القاتل بلا هدف ولا عمل، حالتها النفسية التي ساءت أكثر بعد زواج ملك... قاطعتها الأخيرة بحدة كأنما تعرف كل ما ستقوله ولا تريد أن تسمع فأسكتتها قائلة:

- أنتِ الساذجة زيادة عن اللازم، اهتمي بنفسك

- لا تقلقي، أبعد خمسة رجال لا استطيع التفرقة بين المنحط والمحترم؟! عيبة في حقي حتى!!

تضحك ملك بجانب فمها وتربت على كتفها بشفقة!

******

في أواخر إبريل....

يتنزه العاشقان في الشوارع الخالية بجوار منزله في لوران متشابكي الأيدي كأنما ربطا برباط فولاذي منذ عهد الذّر..

يوم ليس كالأيام...

الساعة الحادية عشر مساء.. مصابيح الإنارة غطت في نعاس خفيف؛ لتفعم الليل بمزيد من الإثارة.. تنظر نانسي إلى عقارب ساعتها فتنتفض في افتعال:

- أحمد.. الوقت تأخر

- خارج نطاق الزمن نحن..

- أعي ذلك جيدا ولا أخاف!

إن الحبيب الذي لا تخشي أن يراكِ والدك معه هو الحبيب الأمثل بالنسبة لكِ!!!

obeikan.com

شعور لم تشعر به من قبل في خمس خطبات سابقة وجرأة حديثة العهد بها تماما...

لم يكن كل ما عاشته من مسرات سابقة سوى شعور مزيف مصطنع..

يتساقط نثار المطر على الزرع المحيط بهما.. يعمي زجاج السيارات تماما ويعمي أشياءً أخرى...

لا يكتفي المطر أبدا...

يتساقط من عليائه – في غير موسمه – للمطر حسابات أخرى أم لأنه يوم ليس كالأيام؟؟

المظلة..أسخف اختراع عرفته البشرية.

يأخذها ليختبآن في حديقة مظلمة يلجا من باب فرعي لفيلا عتيقة تبدو كأنها أزلية أو منذ زمن سحيق.. لا يجرؤ على دخولها إلا العاشقان حقا!!

يمسك رأسها بكلتا يديه يمسح قطرات المطر بأنامله من على وجهها القمحي ويتحسس شفتيها المكتنزتين ذهابا وإيابا..

– "بحبِك"

– "بحبَك"

للمطر طقوس و "إتيكيت" محترف... يختبر نبض الطبيعة بلثمات متوجسة ولمسات مبتورة على كل ما فيها...

obeikan.com

قد تتجاوب معه وقد لا، لكنه سيفعل ما انتوى عليه سالفا على أية حال! إنها الديكتاتورية الناعمة.. أما تذكرك بشيء؟؟؟

حسنا..الطبيعة الآن.. فاكهة بطعم المطر لا تقاوم!

الفرصة قد تأتي مرات عديدة لكن شبق الأرض العطشى ليس مقتنعا تماما!!!

والقيظ آت لا محالة...

ينهمر المطر شيئا فشيئا..

برق يخطف العيون الناعسة ورعد تتفتح له البراعم قبل الأزهار ف...

فهل آن الاوان أن تتفتح؟؟؟

******

طلب مني أن آتي له مرة في الأسبوع وأن أداوم عليها قدر المستطاع...

ربما بعثه الله لي في محنتي؟؟

ما حقيقة النور القادم من نحوه؟؟ أمدفئة أم محرقة؟؟ كان بداخلي كل تناقضات العالم.. أريد أن أستديم على هذه الزيارة مرة كل أسبوع ساعتان، وأريد ألا أذهب خوفا على خطتي التي تتبلور كل يوم في ذهني وتتشعب تفاصيلها لترتبط في آخر الطريق كرواية محبوكة الصنع خارجة من قلم مؤلف محترف.

obeikan.com

طوال هذا الإسبوع لم أنم.. في أوج حيرتي وخوفي وضعفي وقوتي وتذبذبي ويقيني! غدا ميعاد الزيارة.. التاسع من ديسمبر.. الأحد الساعة الرابعة عصرا... ألحيت عليه بكل الطرق الممكنة واللاممكنة.. التافهة والمعبرة.. المقنعة والتي لا تدخل حتى عقل فأر... بالغت في طلباتي.. كنت أهاتفه في العمل أكثر من عشر مرات يوميا حتى أخنقه بسيل طلبات منزلية تافهة عله يختنق ويتركني أنزل أبتاعها بنفسي.. لكن شيئا من هذا لم يحدث...

بعد مجيئه من عمله.. وقفت أمامه في حجرة النوم أحادثه وأنا أكاد أن أقبِّل يده..

أتذكر هذا الحوار جيدا كأنه حدث وحده في حياتي ولم تطغَ عليه أحداث أخرى أوقع و أنكى...

- قلت ممنوع.. أخرجك أنا لكن وحدك ممنوع.

- لِمَ؟ أنا اختنقت.. يوم كل أسبوع أريد أن أذهب فيه للنادي ساعتان على أقصى حال والله لن أزيد و...

- أه كي تتيح لكِ الفرصة كاملة أن تتطبقي أحلامك على أرض الواقع..

- أحلامي؟ ماذا تقصد؟

- انظري إلى نفسك وأنتِ نائمة وسجلي ما تقولين وستعرفين ماذا أقصد..

- كف عن طريقتك هذه وتكلم مباشرة لو سمحت.

- لماذا حلمتِ بـ"محمود"؟

- محمود؟!! محمود من؟؟

دفعني على السرير وهو يصرخ حتى طار لعابه:

- لا أريد استعباطا وخبثا... محمود الذي حكيتِ لي عنه قبل الزواج.

أنا بالفعل نسيته.. ما كان أصلا بيني وبينه شيئا كي يُنسى.. قلت له أني كنت معجبة به كأي بنت تعجب بولد.. علاقة عابرة لم تتعد بضعة أسابيع ولم يتطور الأمر بنا إلى شيء..كان طالبا ساعتها ولم يستطع التقدم لي وهكذا انتهى الموضوع تماما.. أنا حكيت لحمدي هذا الكلام قبل الزواج لأني كنت لا أخفي عليه أي شيء مهما صغر وتفه.

تابعتُ بذعر وذهول:

- أنا حكيت لك كل ما بداخلي بصدق لم أقِلّ ولم أزد.. أهذا خطأي؟

- نعم هذا خطؤك.. مَثلي أكثر.. إن كان ماتقوليه فعلا صحيح فلماذا حلمتِ به؟

أمسك بذراعي في منتهى القسوة حتى تعجن في يده وهو يصيح ثانيا:

- لماذا حلمتِ به؟؟

قلت في منتهى الرعب:

- والله العظيم عادي.. لا أعلم.. لا...لا أتذكر حتى تفاصيل الحلم..

obeikan.com

أيحاسب الإنسان على أحلامه؟؟

- نعم يحاسب. إذا كانت امرأة متزوجة مازالت تحلم وتتمنى غير زوجها فهي تستحق الموت.. تستحق الرجم.. تستحق الدهس بالأقدام..

قالها وهو يركلني بقدمه في أسفلي. تألمت حد الموت.. أغشى عليَّ من فرط الألم ولا أعرف ماذا حدث بعدها، ثم أفقت على بركة دماء صغيرة ولم أجد بجانبي أحدًا.

******

مصابيح الإنارة الناعسة تحف أسوار الحديقة.. ليل يحث الخطى بظلام دامس إلى كل ما حولهما إلا من ضوء نصف قمر يرمقهما من بعيد بامتعاض مريب هل هي غيرة من لم يجد نصفه الآخر ويعتبر أن أي ممارسة للحب أمامه بمثابة إهانة شخصية له؟! أم أن له رأيا آخر؟

وهـو.... يستحث الخطى... يزحف بكل أطرافه على الأرض المسجاة تحته... شاربه الواخز الذي نبت حديثا يجوب جسدها لاهثا.... يمتطي كل شيء ولا ثمة شيئا يعيقه عن المضي قدما مهما حدث.

تُرى...لا شيئا يُرى...إلا لماما..

الآن قرون الاستشعار وحدها التي ترى....

يتعثر في..

يدها...

تطبق على أنفاسه اللاهثة وهي مغمضة العينين بوحشية بالغة فترديه قتيلا!!!

تشرأب بقامتها وتنحي نزقها الغالب جانبا لتصرخ بأحشائها كأنها المجني عليها!!!

- "صرصاااار"!!

تطرحه أرضا وتتمنى لو أن تلقي بيدها وراءه ثم تنتفض واقفة وهي مرتاعة كأنما لمست إبليس.. تنظر ليدها بكل ما في العالم من اشمئزاز وقرف...

يأخذها أحمد ويحكها في جسده كأنما يزيل عنها لعنة الصرصور القذر..

تأنف. ترتعد بقرف ونفور ثم تبدو وكأنها تغالب رغبة عارمة في القئ... يقترب ناحيتها بلطف.. تبتعد عنه بعنف.. تزرر سترتها.. تعدل هندامها وهي تلتفت حولها بحذر وعصبية...

تخلفه وراءها فيتبعها صاغرا في صمت كصمت القبور.

******

الفصل الثاني

سافر أحمد إلى القاهرة في اليوم الثاني من شهر مايو ليلتقي بـ (دكتور عصام) كان صديقا قديما وجارا له عندما كان يقطن في الإسكندرية قبل أن ينتقل إلى القاهرة لظروف عمله.. يتذكره أحمد كلما أراد أن يعرف شيئا جديدا عن نفسه !

وبعد انتظار ساعة في عيادته..

التقى أحمد بعصام يعاتبه الأخير على قلة سؤاله عليه ثم أخذه من العيادة إلى "كافيه" أنيق بجوارها..

يحتسيان قهوتهما وهما يضحكان بشدة لتذكرهما بعض المواقف السابقة قبل أن تتبدل بهما الأحـوال.. أخذ أحمد يتندر به وبأصدقائه القدامى وعصام لا يملك إلا الضحك المميت على طريقة أحمد في التقليد ثم قص عليه قصته مع نانسي..

عصام ينظر لعينيه وحركات جسده بتفحص شديد وفي عينيه تلك النظرة التي تقول...

obeikan.com

حالة ساذجة أعرف تشخيصها مسبقا!!

بعد أن تركه يحكي كل ما يريده باغته بسؤال غير متوقع:

- أتحب نانسي يا أحمد؟؟

- نانسي بنت طيبة وجميلة و....

- إذن لا تحبها!!

- لماذا تقول ذلك؟

- لأني أعرفك يا أحمد، ليس بصفتي طبيب نفسي أحلل شخصيتك ومشاعرك كما تتهمني دائما لكني أعرف جيدا ما الشكل الذي يبدو عليه أحمد حينما يكون في موضع حب....

- وماذا رأيت هذه المرة؟

- تأخرت عني كثيرا ولم تبلغني بعلاقتكما وقد نصحتك آلاف المرات إنك غير مؤهل للحب وخصوصا في تلك الفترة و...

يقاطعه أحمد بشدة:

- لم غير مؤهل بالحب؟؟ أليس من حقي أن أجد إنسانة تعوضني ولو ربع ما كنت أحسه مع لورا؟؟

- أنت وضعت يدك الآن فقط على المشكلة، لورا.. أتعرف كم مرة ذكرت

obeikan.com

اسم لورا في قصتك التي من المفترض أنها تحكي عن فتاة اسمها نانسي؟!!

كل امرأة تريد أن تصنع منها لورا على مقاسك..

هذه جميلة تشبه لورا.. هذه تقرأ مثل لورا.. هذه تحتضنك لكنها لا تقبلك مثلما كانت تفعل لورا...ألا تعي شيئا؟

لورا ماتت يا أحمد.. ماتت ولا محض امرأة تتشابه مع الأخرى..

ينتبه أحمد لقوله كأنما يبلغه معلومة جديدة لم تطأ أذنه من قبل.لمعت عيناه بالدموع لكنه أخفى ذلك وقاومه بشدة ثم تابع قائلا:

- أكذب لو قلت إني أحبها مثلما كنت أحب لورا.. أكذب لو قلت إنها ملئت كل الفراغ الذي تركته لورا.. لكنها تحبني.. تحبني من كل قلبها وأنا ارتاح لها كثيرا، حرام؟؟

- الحرام إنك تستغل براءة طفلة وتلهو بها كما تشاء.. تماما كما أوقعت نفسك في مصائب قبلها هنا وفي فرنسا.. الله وحده الذي أنقذك منها.. مصر ليست فرنسا يا أحمد لم ولن تكون.. نحن في مجتمع شرقي وأنت شخصيا ما زلت تحمل بعض صفاته الشرقية المتخلفة بالرغم من الانفتاح الذي تدعيه والـ....

(يقاطعه أحمد)

- ليست طفلة هي شابة حرة واعية تفعل كل شيء بملء إرادتها لم أغصبها

على شيء وأنا...

- وأنت أخذت القشرة..الشكل الخارجي والمعنى السطحي للتحضر ومازالت الروح جاهلية.. ياللبؤس...

الروح الجاهلية تعيث بداخلك فسادا وتغطيها أنت بكلمات براقة حضارية..

- لماذا إن شاء الله؟

- لأنك حولت الأخلاقيات السامية إلى مبررات تبيح بيها ما يؤرق نفسك..

الحرية التي ذكرتَها على سبيل المثال...

جعلتَ منها نبراسا لإطفاء آخر وهج لشمس ضميرك...

الحرية الجنسية عندهم يا أحمد هي زواج. زواج مستوفي الشروط.. قبول وإيجاب ثم حرية اختيار شريك الحياة بعدما تم إعدادهم وتعليمهم وتأهيلهم للحياة كما ينبغي.. ثم إعلان على الملأ أن هذا الشخص هو شريك حياتي..

أي توفر شرط الإشهار..

هدية ما على حسب ذوق العروس.أي توفر شرط المهر...

الأسرة هناك تقلق إذا لم يمارس الولد أوالبنت غرائزهم الجنسية بشكل طبيعي حتى سن الشباب ولا يتدخلون في اختيارات أبنائهم.. أي توفر شرط موافقة الولي... ماذا بعد؟؟

obeikan.com

أليست هذه شروط الزواج الشرعي في ديننا؟ أم لابد من وجود أوراق رسمية وضعت خضيصا كي تحمي حق المرأة من اضطهاد الرجل المتخلف عديم الأخلاق الذي قد ينجب أطفالا ثم يتنكر لهم أو ينسبهم لغيره..

أما إذا تم إعداد الإنسان على منظومة أخلاقية صحيحة تعلمه الرجولة وتحمل تبعات اختياره وتربيه على الاعتراف بأخطائه بوضوح وشفافية فما الحاجة إلى الأوراق والإثباتات؟؟؟

هنا في بلاد العرب كم من زيجة تحمل عقدا وكافة الإثباتات الورقية لكنها في الأساس زواج باطل لم يقم على أساس المودة والرحمة؟

ما تفعله أنت في بنات الناس هو انحلال أخلاقي لايحله دين ولاحضارة ولا أي فكر راقي مهما كان.. أنت تريد أن تضفي لشهواتك معنى سامي وألفاظ براقة أنت شخصيا لا تعيها ولا تعرف معناها تضفيها فقط كي تريح ضميرك..

الحرية أخلاق في المقام الأول والأخير... الحرية هي الأمانة وبدونها لامعنى للتكليف الإلهي، والشرقي محدث النعمة لا ينظر للغرب إلا من خلال هذا الثقب الضيق الذي يرهق البصر والبصيرة..

الحضارة التي أتيت منها هي حضارة واعية مدركة أساسيات ما تفعله.. هناك يُطبق الإسلام بمفاهيمه الروحية ولأننا "متمسستمين" على الشكليات والفكر النمطي - هكذا استقينا الدين من المشايخ - فأصبحنا مسلمين

بالكلمة فقط والروح مازلت جاهلية...

قل لي بالحق متى ستتزوجها؟؟؟

صمت أحمد وكأنه ألقي بحجر وليس بسؤال..

- عرفت أن لدي حق؟؟؟ لو كنت أحببتها فعلا ما كنت استغرقت كل هذا التفكير ولكنت اندفعت برعونتك المعهودة (يحاكي نبرته): سأتزوجها ولو انطبقت السماء على الأرض، ألا تتذكر؟ عندما عارضك أبوك على زواجك من لورا ونعتك بـ "جوز الست" ألا تتذكر؟؟

ها أنطق؟؟ متى ستتزوجها ياعاشق يا ولهان؟؟؟

- سأتزوجها طبعا لكن ليس حاليا أنت تعلم ظروفي المادية أريد أن أفتح مكتب الترجمة الذي قلت لك عليه و.....

- ما رأيك في "مزة" بمائة جنيه أم مازلت تعشق الصغيرات قليلات الخبرة؟

- ماذا تقصد؟

- صحيح ظروفك المادية لا تسمح...

- أتهزأ بي؟

- لا لا سمح الله، لكن العذروات لهن طعم آخر إياك أن تنكر لا فرنسا ولا ألف بلد غربي يقدر يقول غير ذلك!!

obeikan.com

يستفز أحمد بشدة، فهمَّ بالنهوض فأمسك عصام بيده وأردف قائلا:

- اهدأ ياخي وفكر ولو مرة قبل توريط الناس في أذيالك..

لماذا يجب أن تتحمل كل الفتيات اللواتي عرفتهن بعد لورا ذنب ألمك؟؟

لماذا يجب أن يضمدن جراحك دائما.. وهن؟ كن يعيشن قبلك في الجنة؟؟ ألا يمتلكن أية جراح حتى تأتي حضرتك وتجهز عليهن؟؟

- لست فاهم يا دكتور، تشخيصك خاطئ هذه المرة، أنا ولورا نعيش أجمل وأسعد أيام حياتنا و...

- لورا؟؟

يُحرج أحمد ويتابع بعصبية...

- نانسي أقصد..

- لِمَ التسرع؟ سيأتي الربيع في موعده. الحب أبسط وأسهل من هذا بكثير..

مئات الحالات التي تأتي لي بعد فوات الأوان، يااااه لو أنهم اقتنعوا فقط إن الحب لا يُستجدى أبدا بل نتعثر فيه بمنتهى اللامبالاة ثم ننهض لننفض ثيابنا أخلاقا وفضيلة وتسامح فينتثر عبقها على كل ما حولنا...

سامح يا أحمد...

سامح الله على ما أخذه منك ولا تفعل ما يغضبه عمدا كأنك تعاقبه!! ليست مشكلة إلهية كما تقول.. إنها مشكله ذاتية في المقام الأول..

obeikan.com

سامح ذاتك، سامح أخطاءك، سامح خيانتك لـ لورا لأنك أصلا لم تخُنها! لاجسديا ولا معنويا...

- لا ختنها ولا زلت أخونـ.....

- اللاواعي يريد أن يصنع منك قديس الوفاء والإخلاص الذي ترهبن في محراب حبيبته الراحلة.هذا الشخص هو أبعد ما يكون عنك وعندما فشل في صناعته رحت انتقمت من نفسك، استنزفت مشاعرك ومالك وصحتك..

استيهامك دائما أنك بطل أسطوري تُحكى قصة حبه في كتب التاريخ والأدب لا أساس له من الصحة... أنت لست قيسًا يا أحمد..

قيس لا يفكر في عمل مشروع يدر عليه ربحا وفيرا!! قيس لا يفكر في الحب ولا في الجنس بعد ليلي!!

قيس يقرض الشعر ويتيه في الصحراء ينادي ليلي طوال اليوم، لا ثمة شيئا أكثر من هذا!!! لن تكون قيس ابن الملوح مهما حاولت ومهما حاول عقلك الباطن أن يوهمك..

تفر الدموع من عينيه غصبا ويلتزم الصمت المطبق..لا يحتضنه عصام ولا ينهض من مكانه حتى بل ينظر له بشفقة يواريها عمدا لأنه يعلم جيدا عزة نفس صديقه ولأنه يريد أن يغلظ عليه القول عله يفيق.. ثم يتابع قائلا:

- أنت لست مريض اكتئاب سأوصف له عقارا مهدئا أو شابا مراهقا يمر بأول أزمة عاطفية في حياته.. لا ثمة مرض عقلي أو نفسي واضح تعاني منه

obeikan.com

مرضك الوحيد هو نقص تسامح..

يتمتم أحمد بصوت غير مسموع:

- أو نقص لورا!!

******

فكرتُ حينها أن أتصل بوالدتي.. لكن.. هذا يعني أن يأتوا ليأخذوني ويطلبوا الطلاق! مستحيل! لن أتركه مهما حدث إلا بعد تدميره... لا لن يعرف أحد شيئا.. هانت.

******

يتابع الصديقان حديثهما بعد أن خرجا من "الكافيه" إلى بيت عصام لأن أحمد سيسافر الإسكندرية في اليوم التالي فدعاه عصام للمبيت معه هذه الليلة في شقته في مصر الجديدة حيث يقيم فيها بمفرده...

أحضر له العشاء ثم جلسا سويا يتسامران أمام التلفاز.. شاكسه أحمد قائلا:

- لابد أن تكون "Open-minded" أكثر من هذا يا دكتور..

- لو الشخص الذي يترك لغرائزه العنان هو "Open-minded" فيشرفني بألا أكون! هنا يا أحمد عندما يقال على شخص ما إنه "Open-minded" سرعان ما يتشكل في ذهنك أن هناك انحلالاً

obeikan.com

اخلاقيًّا بشكل ما! مع أن الـ"Open-minded" في رأيي هو شخص صاحب فكر مستقل غير موجه أو تابع لأي تصنيف سائد مهما كان...

شخص مرن.. متقبل للآخر بطريقة تجعلك تتوهم إنه شخص إمعة ممكن يقبل بأي شيء! شخص مع الحريات بشكل عام، ممكن يدافع عن حريتك في إبداء رأيك المعارض له شخصيا.. حيادي، منصف، منطقي، متحرر من القيود المجتمعية التافهة، لا يتوه في زحمة التفاصيل الفارغة..

شخص مستعد أن يراجع معتقداته الراسخة التي يعتبرها الآخرين أشياء لا يمكن المساس بها، يسمع لمن يخالفه من باب عدم الإقصاء والحجر على الآراء.. هو شخص على درجة من الوعي تؤهله أن يبتسم عندما يخطئ فيه أحد بالعكس يدعي له! أتعرف؟ الأخطر من الشرقي المتخلف.. الشرقي مدعي التحرر لخدمة أغراض التخلف!

- ماذا تقصد بالضبط؟

- قل لي بربك ماذا هذبت فيك تلك الحضارة التي تدعيها ولا تفتأ تتشدق بها منذ أن جئت إلى بلاد التخلف هنا... أنت تمدنت ولم تتحضر وهناك فرق كبير بين المعنيين...

- وما الفرق يا دكتور؟ (يقولها بسخرية)

- المدنية هي الشكل الخارجي للحضارة.. ما توصلت إليه الحضارة بعد تطبيق المفاهيم الأخلاقية، أما الحضارة فهي فكر راقي أخلاقي في

obeikan.com

المقام الأول.. يسعى إلى الثوابت الأخلاقية ويوطد جزورها في الأرض ولا يسمح للشكليات والتفاصيل الدونية أن تنال من تلك الثوابت..

مفاهيم كالعدل والصدق والرحمة والحرية والحب والالتزام والعفة و...

هي في الأصل مفاهيم مجردة تفهمها الأرواح قبل أن تتلفظ بها الحواس..

مفاهيم نادت بها كل الأديان طبقها الذين مانزلت عليهم أي أديان!!

مفارقة عجيبة فعلا!!

فالذين نزلت عليهم الأديان تفانوا في الصراع فيما بينهم حول أحقية كل دين بالاعتناق وتناسوا المفاهيم الأخلاقية الراسخة في كل دين رسوخ الجبال في الأرض..

ويالیتهم اكتفوا بذلك.. بل سعى معتنقي كل دين بفتتيته إلى مذاهب صغيرة تتصارع فيما بينها على شكليات زائفة مفرغة من المضمون..

راحوا ينفذون بكل غشاوة مخططات صهيونية دنيئة ومؤمرات للضرب من الداخل...

نحن في حرب عالمية ثالثة نخوضها كل ثانية بلا هوادة... حرب شعارها ضرب الفكر.بعدة أسلحة أهمها.. إنشاء مناخ غير صالح للآدمية.. تجعل الإنسان يفكر ألف مرة في قوت يومه وكيفية زواجه فتلهيه عن قضايا أعم وأسمى وتتركه يلهث وراء أدنى متطلبات الحياة الآدمية..ضرب الفكر

بضرب التخصصات..

"الفهلوة" والشطارة التي يدعيها المصري ما هي إلا ستار يواري خيبة المنظومة التعليمية...

- ماذا تعني بضرب التخصصات؟

- ضرب التخصصات بمعنى أن خريجي الهندسة النووية مثلا لايعرف كيف يصنع صورايخ العيد حتى!

أساتذة جامعات يدرسون للطلبة مواد لم يتخصصوا بها! يعينون أبناءهم الفشلة على حساب من هم أحق وأجدر كما حدث معي وهم ينفذون بذلك مخططات خارجية عن جهل أوعن علم لافرق النتيجة واحدة في الحالتين.

- أتذكر عندما كنت في كلية الهندسة علمت ذات مرة أن مواد بالكامل تم وقف دراستها في مصر من الأساس مثل صناعة السبائك مثلا...

- طبعا كي تضيع عليك إمكانية صنع سلاحك هم يدركون جيدا الآية التي تقول "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة" أما هنا نكتبها بخط مزخرف تحت سيفين مرسومين ثم نجري على أعدائنا كي يعطونا سلاحا نقتل به أنفسنا!!

- وماذا تبقى لنا؟

- تبقى لنا قشور العلم فلا تفهمها بالطبع ولا يفهمها من يدرسها أيضا..

تبقى لك الأشياء التي قتلت بحثا وتخطاها الزمن ولم يعد لها فائدة في العصر الحديث..

كليات عملية ونظرية تحولت في لحظة إلى مؤسسات للتخريب العقلي. تحفظ المعلومات عن ظهر قلب ثم تسكبها سكبا في أوراق الإجابة دون أن تعرف كي تطبق تلك المعلومات على أرض الواقع..

ثم الطامة الكبري..

ليتها معلومات قيمة تحتاج لمعرفة كيفية التطبيق فحسب.

بل معلومات ناقصة.. تفتقر المنطق والعقلانية... شيء ما بها يعيق فهمها..

هناك دوما شيء ناقص.. المعلومة تحتاج إلى معلومات أخرى ليتم فهمها بشكل صحيح فتضطر لحفظها كما هي كي لاتترك ورقة الإجابة فارغة و "تشيل" المادة...

لولا أنني من عائلة ميسورة الحال وأكملت تعليمي في الخارج ماكنت فهمت كما أفهم الآن..

- ليست صدفة أن تكون المعلومات بهذا الشكل..

- طبعا الخطط الصهيونية هدفها أن تظل دول العالم الثالث هكذا.. ولكي تضمن أن تنحدر أكثر وأكثر

لابد من ضرب التعليم الجامعي من الأساس.

أساتذة الجامعات يتم اختيارهم بناء على تعليمات الأمن الذي بدوره ينفذ ما يملي عليه من أسياده كالعبد تماما.. ينفذها بجهل وغشم ليضمن وظيفته ثابتة مع بعض الامتيازات المالية "أطعم الفم تستحي العين"

ضع أشخاصا مغيبين يضعون أبحاثا قد تغير شكل الحياة القادمة في الدرج هذا إن لم يسرقوها أو يبيعوها!

ضع مغيبين آخريين يخصصون أقل ميزانية للبحث العلمي ويسرقون منها أيضا!!

ضع أستاذا مداهنا للأمن والسلطات بشكل عام.. وأقصي المفكرين والشخصيات المؤثرة.. عرقل مسيرتهم بالروتين وشتت تفكيرهم بالتفاهات والصغائر المميتة.. استهلكهم كل يوم في صراعات لاتنتهي كي تجعلهم مضطرين إلى السفر للخارج ليجدوا من يقدر فكرهم ثم..

أحتويهم ماديا ومعنويا. هيأ لهم المناخ المناسب. جيناتهم المصرية القديمة ستنمو وتزدهر ثم أعطهم الجنسية وهنيئا لك مزيدا من التقدم!!

ضع الشخص الخطأ في المكان الصح.. والشخص الصح في المكان الخطأ ثم نم واسترح فقد تمت المهمة القذرة بنجاح..

- "أيووة " والثورات التي حدثت في معظم البلاد العربية لماذا لم تغير هذا الوضع؟

- منذ بداية ثورات الربيع العربي وأنا أؤمن تماما أنها ستنتهي إلى اللا شيء

obeikan.com

أو إلى الخراب..أتعرف لِمَ؟

- لِمَ؟

- لأنها بلا مفكر لديه نظرية شاملة وخطط مدروسة وبدائل مطروحة بعد الإطاحة بالفساد، وبلا زعيم قائد ذو شخصية مؤثرة يتمكن من وضع هذا الفكر في حيز التنفيذ، لذا فأنا أعتبر أن خمسة وعشرين يناير كانت انتفاضة شعب ضد تفشي الظلم والفساد.. انتفاضة أطاحت بشخص واحد بينما بقت جذوره ممتدة متأصلة في كل مجال.....

- ثورة يونيو كذلك أطاحت بشخص آخر بينما لم يكن موجود أي بدائل مطروحة أو فكر ممنهج يشمل كل النواحي الحياتية للنهوض بالبلد. وكانت هذه هي النتيجة...

******

عاد أحمد إلى الإسكندرية في اليوم الثالث من شهر مايو. أول مافعله هو مقابلة نانسي التي كانت تتحرق شوقا لرؤيته بعد غياب لم يدم أكثر من أسبوع لكن يوم العاشق بألف سنة مما تعدون..

في "الكافيه" المعتاد.. يجلسان بجانب بعضهما.. حدثها عن زيارته للقاهرة ووبخها أنها لم تأتي معه وأن فاتها الكثير. قالت أنها كانت مشغولة لكن الحقيقة أن والد نانسي لم يكن سيوافق أبدا على سفرها مهما كانت الأسباب.. لا تريد أن تقول هذا حتي لا تظهر أمامه بمظهر الصغيرة التي

لا حول لها ولا قوة أو الشرقية التي لا تملك حق اتخاذ القرار.. فادعت أنها كانت مشغولة ومتعبة تجنبا لأي نقاشات مرهقة بلا جدوى..

أخرج أحمد هاتفه من جيب بنطاله؛ ليريها صوره هناك.. صور في الأهرامات و فوق برج القاهرة وعديد من الصور "السيلفي" في بيت عصام، ثم أخذا يقلبان في هواتف بعضهما يتعرف كل منهما على عائلة الآخر لأول مرة كان حبهما يشغلهما عن كل شيء عداهما.... يبحلق عندما يرى صورة ملك، يدقق في الملامح حتى يتأكد يقينا أنها هي!!!

- أتشبه عليها؟؟؟

-(يتلعثم لسانه) لـ لـ لا لا..لكن... كيف أنكِ لا تشبيهنها أبدا؟

قالت له أن ملك تملك ذلك الجمال الأوروبي. العينان الزرقوان، البشرة شديدة البياض، الشعر البني الفاتح، الأم تقول أن جدتهما لأمهما كانت من أصل تركي وأن ملك تأخذ هذا الشبه منها...

- نانسي... أتريدين البقاء هنا؟

- لم يمضِ وقت طويل على جلوسنا.. أملت؟!

- لـ لـ لا لا أبدا، فقط مزاجيتي المتقلبة بلا سبب، لا عليكِ!

يتناول قدح القهوة.. ناظرا إلى النافذة.. سارحا في الملكوت....

******

obeikan.com

بعدها بيوم وهو قادم من عمله.. دخل عليَّ بامرأة طاعنة في السن.. حدباء.. عظامها بارزة لكنها مازالت تحتفظ بقوة الزمن التي لا تثنيها عاصفة أيا كانت.. تشبه كثيرا الساحرة الشريرة التي قرأنا عنها في قصة الأميرة والأقزام السبعة.. تدعى ست أمينة.. أشار إليها نحو المطبخ وأمرها أن تضع حاجيتها في حجرة صغيرة قد جهزها لها من قبل..

قال بحنان مصطنع مقيت إلى نفسي:

- ست أمينة ستساعدك في أعمال المنزل، وستنزل تشتري ما تريدينه.. اثقلي عليها براحتك ولا يغرنك سنها فهي أصبى مننا بمراحل..

لم أرد عليه.. سمعتها تقول بصوت حاد عجوز: "إزيك" يا هانم.. لم أجبها أيضا.. دلفت إلى حجرة المعيشة وأوصدت بابها عليَّ بإحكام.كنت مرعوبة منها!! لابد أن تؤجل الخطة بضعة أيام.. لاح في الأفق معرقل ليس بشديد..

هذه العجوز الشمطاء.. تشتت تفكيري.. ترعبني بوجهها المجعد الذي حفر فيه الزمان ما حفر.. أنفها المتدلي المعقوص إلى الأمام أحسه محشورا بيني وبين نفسي.. عيناها الأدق من خرم الإبرة يفتشان بداخلي عن شيء ما... لابد أن تمشي من المنزل.. وجودها منفر لي..

تساعدني وتنفذ كل أوامري المنزلية بلا نقاش وبمنتهى الإتقان والتفاني..

يثير هذا حنقي أكثر وأكثر.. لا أستطيع أن أمسك عليها ذلة واحدة.

******

"معقول!! ملك!!! الدنيا صغيرة إلى هذا الحد؟!!"

رجع أحمد إلى منزله لا يرى أمامه تقريبا، رفض تناول العشاء مع والديه واتجه إلى غرفته مباشرة موصدا بابها جيدا..

"معقول! ملك!! لا صدف كهذي إلا في الأفلام!!"

في اليوم الموافق ثلاثون من شهر ديسمبر ٢٠١٤ رجع أحمد من فرنسا صفر اليدين إلا من سيارته وعدد لا بأس به من اليورو الذي كان بالنسبة له فيما مضى "مسح زور" لكنه سيكفيه حتما الأيام القادمة خصوصا في مصر..

نزل في القاهرة فكان أول ما فكر فيه هو صديقه الدكتور عصام..

هل حقا كان يشتاق إليه أم أنه كان استيهام بالشوق كي يتهرب من اللقاء الحتمي بوالديه في الإسكندرية حتى لا يشقياه أكثر بالشفقة على الحال المزري الذي وصل إليه؟؟ أم أنه يريد الحديث مع طبيب نفسي بالذات ولا يريد أن يفصح لنفسه عن هذا الأمر؟؟

لايعلم، كانت تسوقه قدماه إلى أي مكان غير الإسكندرية...

ذهب إلى عيادة عصام في مدينة نصر. سأل السكرتيرة عن وجوده أخبرته أن معه حالة وطلبت منه الجلوس مؤقتا في الردهة المقابلة.

تساءل وهو يتمتم في نفسه: كل هذه تسمي ردهة؟ الله يرحم!

ديكورات تبعث في نفسك ذاك الإحساس بالجمال المهيب..

الأناقة تشع من ذلك الصالون الجلدي الفخم... الزهور البرية تريح عينك وتخيف قلبك.. سجاد عتيق من النوع الأصلي.. لوحات فنية تنطق بالمشاعر البهية وتختلج بالعمق النفسي الغريب...

حالة ما في تلك العيادة كأنك على موعد مع المجهول...

هل لأنها عيادة طبيب نفسي بارع ومشهور؟؟ الأمر الذي يتمناه الجميع ولا يتمنوه أيضا!!!

عصام! ذلك الشاب الساذج المتهته الذي كان البنات يتهامزن ويلمزن عليه بسخرية والشباب يجعلونه تسليتهم في المقهى؟؟ كل من يريد أن يُحلّي الجلسة يأخذ من عصام مادة خام لظرافته يحيك فيها كيفما شاء!

سبحان مبدل الأحوال!!

مضت نصف ساعة على جلسته هذه تذكر فيها الأيام الخالية ثم أخذ يتململ في المقعد لا يطيق جلسته أكثر من هذا، دفعه جنونه المعهود وليكن ما يكون...

حجرة واسعة لا تقل أناقة عن الردهة- المسماة مجازا ردهة - مكتب وثير مقعده فارغ وضعت عليه مراجع علمية عتيقة كأنها مصنوعة من ورق البردي ولافتة مكتوب عليها:

" د. عصام الدين محمد "

"استشاري الأمراض النفسية والعصبية"

موسيقى خافتة لـ "موزارت" لا تعلم مصدرها....

يجلس عصام على مقعد وثير أمام الشازلونج المقابل للمكتب يسجل في تركيز ما تقوله امرأة ثلاثينية وهي مسترخية تماما...

" أستاذ لو سمحت... أستاذ لا يصح هـذا... الدكتور لديه حالة... أرجوك... "

- أحمد عارف؟؟

- عصام "سيكو"؟ بالحضن ياراجل!

يحتضنان بعضهما بشدة، يسألان عن أحوال بعضهما مع تبادل بعض السباب الخفيف ثم ينظر عصام بإحراج بالغ إلى تلك المرأة المسجاة على الشازلونج تتعجب مما يحدث:

- أسف يا مدام "ملك " صديقي أحمد لم أراه منذ أعوام...

******

يأتي متأخرا.. يبحث عن أمينة وهو ينادي بصوت عال.. طلعتُ من حجرة النوم فبادرني بصوته المُنَفِر...

- أين أمينة؟

- أمينة؟ أه أمينة جدا فعلا!

obeikan.com

- بقول لكِ أين ذهبت أمينة؟

أبلغته إني طردتها شر طردة لإنها سرقت خاتم الخطوبة. كنت أضعه على التسريحه كعادتي ولا أبالي.. دخلت لتنظف الحجرة. بعدها لم يظهر له وجه، قال إنه ليس لديه وقت لهذه التفاهات ولم يصدقني (إذا كان لا يصدقني وأنا أصدقه القول أأنتظر أن يصدقني وأنا أكذب؟!) أمرني أن أبحث جيدا عنه أومأت برأسي ثم سألته هل أحضر له العشاء، قال أنه تناول عشاءه في الخارج ثم دخل غرفة المكتب عدوا وأغلق الباب وراءه بسرعة.

******

- لِمَ لا ترد على الهاتف؟؟ أريد مقابلتك ضروري اليوم في زانييلز الساعة السادسة.

قالتها نانسي دون الانتظار لسماع إجابة سؤالها...

مئات الأسئلة تتقاذف إلى ذهنها المنهك كلها ساعات وستعرف كل شيء.

******

الأحد.. ثلاثون من شهر ديسمبر ٢٠١٤...

كان مزاجه رائقا... يا ترى من ضحية هذا المزاج القذر مهما راق؟!

استغليت هذه الفرصة كي أصعد إلى طبيبي بعد غياب دام حوالي ثلاثة

obeikan.com

أسابيع... لم يمانع فلم يشأ أن يعكر مزاجه شيء في هذا اليوم بالذات... نزل إلى عمله ولم يغلق الباب عليَّ.. دلفت إلى حجرة النوم كي أكمل نومي وضبطت المنبه على الساعة الواحدة ظهرا...

استيقظت من نومي ثم قمت ببعض الأعمال المنزلية ثم تحممت وفي الساعة الثالثة والنصف كنت أستعد للجلسة..

كان يوما مختلفا حقا.. تُعرف الأيام المختلفة بسيماها..

نفسيتي كانت متزنة.. هادئة إلى حد كبير مقارنة بأول جلسة لنا...

تمددت على الشازلونج ورحت أحكي ما بدا لي حتى دخل علينا...

شاب في الثلاثين من عمره تقريبا... قامته فارهة الطول.. ذقنه وشاربه محددان بدقة.. شعره حريري لا طويل ولا قصير. لون بشرته غريب أقرب الوصف أنها سمرة لامعة ليست برونزية وليست قمحية.. جسده مفتول يشبه هؤلاء المرسومين في لوحات الإغريق الكلاسيكية حيث الرجال ذوي الأجساد المصقولة المجنحة التي تتناغم فيها خطى الخطيئة ممزوجة مزجا عجيبا بنفحات البراءة في حالتهما النقية..

مظهره يشي بأنه (ابن ناس)... شكله غير مألوف لكنه مصري.. والمصري معروف بسيماه..

اقتحم خلوتنا في نزق ورعونة وصخب في غير محله..

يا إلهي كم يفتنني هؤلاء الرجال!

هل أميل لهم فعلا أم أنني ضقت برزانة حمدي وتكلفه الاحترام والكياسة وأضحيت أُفتن بكل ما هو عكسه؟

ربما..

لكنني شعرت بشيء ما لا أدري كنهه..

شعرت بأني وجدت شيئا كنت أبحث عنه ولا أدري ما هو!

******

على الطاولة يجلس أحمد ونانسي في مكانهما المعتاد بجوار النافذة ينتظرها أن تبدأ بالحديث...

- ما الذي بينك وبين ملك أختي؟؟ أنا عرفت كل شيء.

- ماذا عرفتِ؟؟

- ملك حكت لي على كل شيء، أنت الذي استغل ضعفها ونفسيتها المحطمة جراء زواجها الفاشل ورحت تلهو بمشاعرها وتلعب على أوتار حرمانها حتى أوقعتها في بئرك.. لا داعي للاستغراب هكذا ليت الأمر توقف عند رجل أوقع امرأة في شباك حبه... كيف سمحت لنفسك أن تعتدي على حرمات غيرك؟ تنتهك جسدها وتتركها تلهث وراءك بمنتهى الدناءة والخسة التي في العالم...

obeikan.com

فاغرا فاه يسمع في ذهول كأن الكلام الذي يقال لا يمت إليه بصلة...

- لا.. كذب... لم يحدث شيء من هذا...

- لا داعي للكذب قصت ملك القصة من أولها ورفع الستار يا....

- والله العظيم ما حدث.. أنا وقفت بجانبها أساندها.أنا عرفت ملك في ظروف قاسية لي ولها لكننا لم نضعف، أعجبنا ببعض فترة قصيرة كنت أعلم أنها مشاعر مؤقتة.. أنا لم أكن في وقت يسمح لي بإقامة أي علاقة ولا هي... فقط وجدتها في طريقي... كانت تشبه زوجتي الله يرحمها إلى حد كبير حاولت أن أعقد صفقة بين الواقع والخيال كي أوهم نفسي بأنهما واحد.. أن الله عوضني بنسخة منها.. حاولت وحاولت لكن..

شتان بينهما...

- ماتنساه أنت في أيام لا ينساه غيرك في سنين...

- والله ملك تهذي.. تتصور أشياء لاوجود لها..

تنظر له نانسي بقرف واشمئزاز:

- كذاب مهما أقسمت لن أصدقك.. لماذا تدعي امرأة محترمة هذه الفعلة الشنعاء على نفسها؟؟ لماذا تجعل شرفها علكة تلوكها كل الألسنة؟؟

نفرض أن ملك مجنونة وتهذي، حمدي أيضا مجنون ويهذي؟

حمدي رأى امرأته في غرفة نومهما مع غريب في الحلم وصاح يفرض على

obeikan.com

الجميع أحلامه؟؟ كفاك لعبا بالعقول والقلوب.. الله يلعنك.

- نانسي.. اهدئي.. سأفهمك كل شيء.

- لا داعي.. عن إذنك

تنهض واقفة ثم ترمقه بنظرات التحقير والاشمئزاز وهي تركض بعيدا عن ناظريه.

******

الأحد التالي.. اليوم السادس من شهر يناير ٢٠١٥.. سنة جديدة يا ترى ماذا تخبئ لي؟؟ وجدتُ نفسي مكبلة بين أربعة جدران في بيته الفخم الذي ما شعرت لحظة أني أنتمي إليه، نجحت في الإيقاع بأمينة هانم بينما عقابي بغلق الباب عليَّ من الخارج ظل مستمرا إلى أن يشاء هو أو يشاء مزاجه القذر....

وميعاد طبيبي؟ كان بإمكاني أن أختلق ذريعة جديدة للصعود إليه لكني تراخيت يومها بكسل مريب.. هل مللت الإلحاح واقترب الأجل؟ أم أنني داخليا لا أود الذهاب إليه؟؟

أعتقد أنها الأخيرة...

الحمد لله الأعراض اختفت ولم تأتِني ثانية.. عالعموم لا وقت للتشافي حاليا.. سأنفذ خطتي وأنكل بهما ثم أشفى.... إن شاء الله لي أن أشفى...

obeikan.com

نظفت البيت قليلا.. رتبت السرير وكنست الباركيه.. وضعت الغسيل في الغسالة الأوتوماتيكية.. طهيت طعاما خفيفا لم يأخذ مني كل ذلك سوى ساعتين روتين كل يوم..

جلست على مقعد السفرة أزدرد الطعام. كانت نفسي تعافه فأكلت ما أقيم به أودي ثم قمت فغسلت يداي ثم اتكأت على السرير نصف نائمة وراء ظهري وسادة واضعة "اللاب" على ساقي..

فتحت "الفيس بوك" وبعثت رسالة إلى دكتور عصام مفادها أنني لن أستطيع الذهاب إليه مرة أخرى.. وأنه علينا أن نتواصل عن طريق "الفيس" إذا كان وقته يسمح..إلى أن يجد في الأمور جديد...

بينما كنت أضغط على زر الإرسال وصلتني إشارة حمراء صغيرة مكتوب عليها رقم واحد فتحتها ثم تسمرت أمامها..

" Ahmed 3arif "

صديق مشترك بيني وبين دكتور عصام...

صورته صغيرة غير واضحة المعالم.. فتحتها كي أتأكد مما ساورني..

هذا هو الشاب الذي التقيته يومها؟ الشاب الذي يشبه رجال الأساطير؟

نعم هو.. قبلت صداقته على الفور.. وبدأت حكايتنا الافتراضية.

******

- كفاكِ تسرعًا واسمعي..

قالها أحمد وهو يمسك بذراعي نانسي جاذبا إياها إلى الطاولة غير عابئ بنظرة المحيطين لهما..

يشرح لها أن حمدي شخصية سايكوباتية، تلك الشخصية التي لا يسعدها ويجعلها تنتشي قدر رؤية الآخرين يتألموا، شخص لا يتعاطف، لا يشعر بمشاعر طبيعية مثل الإنسان العادي كي يتعاطف، شخص يدمر كل ما فيك ليتلذذ هو بعذابك، لديه مشكلة إلهية خطيرة وهي اعتقاده في قرارة نفسه أن الله سبحانه وتعالي جعله خليفة له في العقاب الدنيوي! أي جعله الله سببا ليعاقب به العاصي والمذنب!

شخص خلق بلا أي ضمير لحكمة ما لذا لا يشعر بالذنب حيال أي شيء....

ينصب الشراك حول فريسته ويحكم غلقها جيدا ليستغلها بأي صورة معنويا ماديا أيا كانت ثم يقهقه كالشيطان الذي يغوي ابن آدم ثم ينظر له بشماتة قائلا: أنت السبب.. أنت الذي فعلت هذا بنفسك.. إني أخاف الله رب العالمين!

-حمدي دمر ملك يانانسي.. ماغدا بها حتى شوه ذلك الملاك البرئ بدعوى أنه كان يؤذيه بفرط ملائكيته!!

تصفق نانسي بسخرية وتعقب قائلة:

- جميل! شخصتِ يا دكتور؟

obeikan.com

- لم أشخص شيء هذا ما قاله عصام..

عندما جلس أحمد وعصام سويا بعدما أنهى الأخير جلسته مع ملك. حكى كل منهما عما يشغله.. تحدث أحمد عن رحلته في فرنسا شديدة السعادة وشديدة البؤس في آن واحد.. استمع له عصام لكنه كان غاضبا ومتوترا جدا فتحدث معه عن هذا الاضطراب الغريب "الشخصية السيكوباتية" وكيف أنها تثير في داخله ذكريات ومآسي لا حصر لها.. تحدث في العموم ولم يذكر أي شيء عن ملك وزوجها حرصا على أسرار مرضاه لكن أحمد استنتج أنه يقصدهما لأنه كان معه في نفس يوم جلسة ملك (وهو أول يوم رآها فيه) كما أن ملك حكت له بعضا من تصرفات زوجها الغريبة أثناء حديثهما الإلكتروني.

تعقب نانسي ساخرة بعصبية:

- ملك شخصية مهلوسة وحمدي شخصية سايكوباتية وأنا الساذجة طبعا التي تصدق كل ما يقال لها وأنت؟ ما شاء الله عليك الإنسان الكامل، الملاك الطاهر الذي لم ولن يخطئ أبدا!

- لم أقل هذا يوما، أنا فعلت من الموبقات في حياتي ما يكفي لدخولي جهنم بلا سابق حساب، لكننا لم نضعف! تطورت علاقتنا سريعا لكنها لم تنتهي للزنا.. لم تنتهي... صدقيني يانانسي.

يمسك بيديها فتفلتهما بسرعة:

- لماذا فعلت بها هذا؟؟ أما كان يكفيك أن يدمرها حمدي حتى أجهزت عليها حضرتك؟؟ ماذا تستفيدون من هلاك الناس؟ كيف تعيشون بسعادة وأرواح ضحاياكم لا تكف عن الأنين؟

- لم أفعل شيئا لا تظلميني والله مافعلت بها شيئا أحبتني بسرعة وبادلتها شعور مؤقت و....

- بادلتها شعور مؤقت؟! لماذا تستهينون بجرح القلوب هكذا؟؟

- لا أستهين لكني لو أكملت معها كنت سأظلمها أكثر، كانت لحظة طيش مني، وجهها الذي يقارب في الشبه وجه لورا زوجتي الله يرحمها هو ما جعلني أتخيل أنني سأصنع منها لورا ثانية... هذا كل ما في الأمر.

******

في السابع من مايو.. في بيت الخالة... مواجهة حادة

- يا ما شاء الله يا ما شاء الله! عرف أن يأكل عقلك بهذه السرعة؟! أقنعك إني مجنونة وصاحبة ضلالات وهلاوس لا تحدث إلا في عقلي أنا فقط؟؟ لماذا؟ لأني كنت أذهب لطبيب نفسي؟؟ بذمتك هل هذا تفكير رجل جاء من فرنسا؟ شكله جاء من بولاق الدكرور و"بيشتغلك"... وحمدي؟؟ يهلوس أيضا؟؟؟ يرى غريبا في حجرة نومه يمزق ثوب نوم امرأته ليلتهم ثديها بفمه وهي تتأوه طالبة المزيد وو....

- كفي.. كفي أرجوكِ.. لا أريد سماع شيء

- حسنا، وأنا لن اقتنعك بمجرد كلام سأريكِ بأم عينك وأُسمعك مالم يخطر على بالك أبدا!!

******

تكنس الأم غرفة نانسي المشعثة.. تنظف مكتبها..تمسحه بفوطة.. ترتب الكتب فوق بعضها البعض وتضع الورق على حدة. تصيح نانسي:

- لا لا تنظفي مكتبي، أنا أحبه هكذا!!

- المنظر مقرف لن أعبث بشيء لا تخافي.. أرتب فقط

تنحني الأم لتلتقط ورقة منكمشة تحت أرجل المقعد ثم تفتحها وهي تقول: أتحتاجين هذه الورقة؟

خطفتها نانسي بسرعة وزادت دقات قلبها وهي تقرأ:

"لا تصدقوا أحدا..

اكتبوا عني تلك العبارة".

******

في اليوم التاسع من شهر مايو اتصلت ملك (من بيت الخالة) بأختها تبلغها أن تستعد للسفر معها غدا إلى القاهرة، اندهشت نانسي من طلبها المفاجئ. سألتها لماذا قالت ساخرة: لأثبت لكِ ضلالاتي!!

سيذهبان سويا لعيادة الدكتور عصام لتعرف نانسي الحقيقة، حقيقة

obeikan.com

مرض ملك وهي إصابتها بهيستريا التحول المفاجئ (conversion disorder) مجرد أعراض جسمية تظهر وتختفي خلال أيام أو أسابيع.. نظام ما يحول المشاعر النفسية المكبوتة إلى أعراض جسدية كنوع من التنفيس ولا يصاحبها أي هلاوس أو اختلال في عقل المريض بعدها كما أدعى أحمد.

قالت ملك:

- مازال أحمد كما هو يدعي العلم بكل شيء ولا يوجد أجهل منه...

وعلى افتراض إن كلامه صحيح.. أي طبيب يجني على نفسه ويفشي أسرار مرضاه بهذا الشكل الساذج؟ خصوصا من كان في شهرة الدكتور عصام الدين محمد أشهر وأبرع طبيب أمراض نفسية وعصبية في مصر إن لم يكن في الوطن العربي بأكمله.

- حسنا، قلتِ لأبي؟؟

- رتبتُ كل شيء!!!

******

أدمنت محادثتنا اليومية.. ساعتي الأعمال المنزلية قلصتهما إلى ساعة تقريبا حتى أجلس أمارس هوايتي الجديدة... منذ فترة كبيرة وأنا لم أفعل شيئا أستمتع به..

هل أحببته؟ أم أدمنته؟ أم إنه خطتي في هيكلها المتجسد؟

openkan.com

لم أكن بحالة تسنح لي أن أفسر شعوري إتجاهه في هذه الفترة بالذات..

لوثة الانتقام تعميني عما عداها..

كل ما أعرفه أني بحاجة إليه وقد جاء يلبي النداء في توقيته بالضبط...

لكن ما ذنبه هو في أن أستغله وأجعل منه مطية الانتقام؟

شعرت بوخز الضمير خصوصا عندما فتح لي قلبه وروى قصته منذ البداية..

حكى لي أدق تفاصيل حياته بصدق مريب كأنه يعرفني منذ أمد.. ربما أحبني بصدق.. بالرغم إنه لم يتفوه بها أبدا.... لكن اهتمامه بي كان مربكا للغاية...

تخاله للوهلة الأولى عودا أخضر يابسا رونق الحياة يسري في عروقه ثم لا تلبث أن تجده بين يديك طفلا لقيطا مسكينا تود لو تحتضنه.. تربت في حنو على فؤاده.. تملس على شعره وتهدهد روحه المثقلة إلى أن ينسى ما ألم به.. أو يتناسى...

ما هذا؟؟

سأعود لسابق عهدي؟؟

أي رجل يستطيع أن يأكل بعقلي حلاوة ويستملني بلهجة حنونة زائفة!!

كم رجلا يكفيني لكي أقتنع أن الرجال كلهم واحد؟

obeikan.com

كم رجلا بحق السماء يكفي كي أؤمن قطعا أن كلهم ممثلون متناقضون أفاقون لا يمكن لامرأة مهما بلغت من الكيد والدهاء أن تتنبأ بهم؟

كم طعنه خذلان وكم ضربة قلب بإمكانها أن تجعلني أكف عن هذه السذاجة؟

لا يا أحمد... لن أقع في العشق مجددا لأن العشق يفسد كل شيء.

******

العاشر من مايو. الساعة العاشرة صباحا.تذهب نانسي وملك إلى محطة سيدي جابر في ميعاد القطار بالضبط.. في تمام الساعة الثانية والنصف مساء كانا قد وصلا إلى باب العمارة في مدينة نصر بعد إرهاق طويل لكن لسوء حظهما أبلغهما حارس العمارة أنه قد تم القبض على الدكتور عصام في تهمة أخلاقية مهنية ينفيها البعض حالفا ويؤكدها البعض الآخر حالفا أيضا!!!

في الساعة السابعة مساء تدخل نانسي وملك بيت أبيهما بعد عناء سفر طويل بلا طائل.. جلست ملك تتناول غدائها وتتحدث مع والدتها عن الفترة التي قضتها مع خالتها.. طلبت منها الأم أثناء حديثهما أن تنقل حاجيتها من بيت خالتها وتأتي للمكوث معها هي وأختها خصوصا أن الأب أمسى يكثر من جلوسه في بيته الآخر مع زوجته الثانية وأولاده.. وافقت ملك بعد إلحاح شديد.. بينما جلست نانسي في شرفتها في وضع لا تحسد عليه

تتحدث في نفسها:

أحمد طائش ومجنون، ربما استغل ضعف ملك وفعل بها ما فعل؟

أحمد متأثر بالثقافة الغربية ما فتأ بعد تصفية أمواله في فرنسا والعودة إلى مصر متوهما أنه مازال يعيش فيها ويريد أن يجعل من مصر نسخة مشوهة من فرنسا رغما عنها!

وملك أختي؟

ملك ملك هذا كل ما يجب أن أوصفها به..

كيف يتحول خجلها الجم إلى إعلان على الملأ بأنها زنت مع عشيقها وجاء زوجها لسوء حظها ليراهما في هذا الوضع المشين وتجعل من سمعتنا علكة تدهسها الضروس بلا أي ضمير؟ كل هذا وهي بريئة لم تفعل شيئا؟!!

******

في شاطئ ما.. في اللازمان.. يهتاج البحر كأنما يتخبطه الشيطان من المس... أشعة الشمس كحصب جهنم تلفح جسد الرمال المسجاة فتصعقه حرارة وغضبا...

لا تأبه ملك لتشنج الطبيعة...

تتمدد على الرمال الغاضبة بلباس البحر تصطلي لظى الشمس وهي تنادي بصوت متهالك مكتوم..

obeikan.com

أ

حـ

مـ

د!!!

من مكان ما يلبي النداء..

ينظر لجسدها الغض بشهوة.. يهوي عليه ببطء وتلذذ.. فتستسلم له بكل ما فيها..

يستعر بياض بشرتها من فرط الهجير، يداها مفرودتان عن آخرهما كجناحين من لذة، نهداها يتحولان إلى كرتين من نار بعدما توحدت عليهما قوى الطبيعة الثلاث:

مرجل الشمس، مرجل دمائها المغلي، أتون النار الصغيرة التي يقذفها أحمد في صورة قبلات نهمة سريعة متدفقة...

يتنحى بجسده عنها فجأة - في عز البداية - ويتهاوى بجانبها...

تنظر له بعينين في أوج ضعفهما وجسد ممزق من فرط المتعة...

- أريدك يا أحمد!

تلوذ باحتضانه من الكون مرتاعة.. تتنفس أنفاسه المستعرة وعبق جسده الماجن..

obeikan.com

يهتاج ثانية و يُقبل كل جسدها بجنون كأنها ستنفد حالا!

تذووووووب..

تبكي...

تصرخ...

ويصرخ الموج ليسمع كل من في البحر جميعا...

تتعالى صرخاتهما...

في المنافسة الشرهة يُعلي الموج تردده حتى يصبح صوته هو الأغلب إيذانا بظهور حمدي وبجانبه مخلوق غريب نصفه ذيل سمكة والنصف الآخر...

إنسان؟؟!!أهذا المسمى بعروس البحر؟؟!!

وجهه المصبوغ المموه يشي عن...

نانسي؟؟

هي نانسي.. بوجهها القمحي وشعرها الفاحم وعينيها البندقيتين برموشهما الكثيفة...

منهمك أحمد في عمله لا يعي شيئا مما يدور....

نانسي بقوة سحرية غامضة أتت من وراء الطبيعة تسحبه من مؤخرة عنقه إلى بحرها الثائر...

obeikan.com

لا تستطيع ملك أن تفتح فمها..

تيبس جسدها ليلتصق بالرمال الملتهبة..

لكنها تصرخ من أعماقها بصوت لا يسمعه إلا هي...

أأحـمـد

أأح مد

اااااااااااااااااه

تعالَ يا أحمد

لم أفرغ منك..

تهتز..

تتشنج..

تصرخ...

تريد أن تقوم لكن....

هيهات.....

ملك.. ملك.. قومي...

تفتح عينيها في ذعر ينظران إلى بعضهما البعض مشدوهتين والصمت هو سيد الموقف...

obeikan.com

هل سمعتها نانسي وهي تستغيث بـ "أحمد"؟؟

سؤال يستحيل أن تسأله ملك أبدا!!

******

وبعد هذا الحلم.. طار النوم من عيني ملك، نهضت من على السرير لتذهب إلى بيت الخالة لتجلب باقي حاجيتها.. طلبت منها الخالة أن تمكث معها يومين من فرط ما اعتادت عليها الفترة السابقة.. وافقت ملك وأبلغت والدتها هاتفيا.. في الليل جلست وحيدة في الشرفة بعدما نامت خالتها وجال بخاطرها باقي ذكريات العام البائد:

كان يحب أن نتبادل الصور الفوتوجرافية.. أرسلت له صورا كثيرا ما أطرا عليها وأرسل بدوره صورا له كنت أتاملها وأسبح معها عكس التيار..

كان جسده الفتي ووسامته لا تشغلني قدر تلك الخلفية الساحرة وراءه التي تخلب عقلي بعيدا عن كل شيء..

إسكندرية...

ياااااااااه معشوقتي حد الثمالة...

أوحشتيني يا إسكندرية...

لو رشفت مياه النيل حتى آخر قطرة ما روت ظمأي المحموم لبحرك!

في تلك الصورة..

obeikan.com

يتجلى كوبري ستانلي سامقا شامخا في عز وإباء... تحته يهجع بحر يتلألأ بالذهب نهارا كأنهار من العسل المصفى.. وينتشي بسنا القمر ليلا كوادٍ من فضة..

أما في هذه الصورة...

سان ستيفانو مول يقبع أسفله في خيلاء ستار باكس كافيه ثم إشارة حمراء توقف القلب محبة واشتهاء...

الكاميرا عاليه الجودة لهذا القدر الذي يحيل الإسكندرية إلى جنة؟ أم أن وطنك كالعادة يستحيل فردوسا أعلى عندما تغادره وترحل؟؟

أما هذه الصورة...

كوستا كافيه

(عندما لاح لعيني المتكى..)

******

يرفرف شعرها البني الطويل فيلفح وجهه كنسمة بحر في يوم شديد القيظ يتنفس عبيره ويشرد معه بعيدا....

- Je ne suis pas mort (لم أمت يا أحمد)!

- كيف؟! بعد ذهابك إلى الريف جنوب فرنسا حيث يقيم أهلك قلتِ أن الطبيب نصحك بالمكوث هناك حيث طبيعة الجو الهادئة تساهم في سرعة

obeikan.com

استجابتك للعلاج ومتِ بعـ.....

- Je ne suis pas mort

- كيف؟! نهرتك كثيرا لتركك إياي دون إذني ثم استطعتِ أن تقنعيني كعادتك بأن هذا أفضل لي ولك وأنك لا تريدين أن أراكِ على هذه الحالة خصوصا بعد الكيماوي و....

- Je ne suis pas mort

- كيف؟! كنا نتحدث يوميا عبر الهاتف تطمئنيني على صحتك.. تعللينني بالوصل وأصدق.. توعديني بكِ في اليوم ألف مرة وأصدقهم جميعا إلى أن انقطعت اتصالاتك ثم أبلغني أبيكِ أنكِ توفيتِ!!!

- Je ne suis pas mort

- انطقي! من التي كانت في الصندوق بدلا منك؟ لماذا فعلتِ هذا؟

-.....

- انطقي، لماذا فعلتِ هذا؟

يهز زراعيها من أعلى بعنف فيترجرج جسدها بأكمله ولا تنبس ببنت شفة! يثور أكثر.. يحكم قبضته أكثر فيعتصر أعلاها ويبدأ في الانكماش..

ينكمش وينكمش إلى أن تتلامس يده ببعضها البعض!

ينهض صارخا دافعا إياها فتتكوم على الأرض ليتمدد جسدها القطني من

obeikan.com

جديد ثم تصمت بلا حراك!

- بسم الله الرحمن الرحيم.. سلامتك يا أحمد مازالت فيك تلك الخصلة.. تحتضن العرائس القطنية قبيل نومك كالبنات ثم تنهرهم وتلقيهم لتفزعنا!

أنا سمعت كلام غريب عن دمى هذه الأيام وخالتك حكمت تقول بسم الله الرحمن الرحيم يتجسد فيهم أسمع كلام أمك ولو مرة واحدة في حياتك.. يا ساتر..

تمد يدها لتلتقط العروس القطنية، تنظر لوجهها الدقيق وهي تغمغم في سرها: تشبه الله يرحمها!

تضعها في صندوق مهمل على وشك أن تتخلص منه.....

اللعنة على الاحتياج.. الحب.. افتقاد شخص لا يمكن أن يأتي أبدا ولا يمكن أن تذهب إليه أنت إلا إذا استحلت كائنًا ما غيرك!

ينظر أحمد للصندوق بحسرة ثم يبكي لأول مرة أمام أمه كالطفل الذي أخذوا منه لعبته لينام غصبا في انتظار المدرسة!

******

السادس من فبراير.. قد مضى شهرا على علاقتنا الإلكترونية..

تبادلنا ذات مرة أرقام هواتفنا المحمولة تحدثنا على الهاتف قليلا.. لكننا فضَّلنا "الشات" أكثر..

ربما أحبالنا الصوتية المنهكة المتداعية أرهقها الحديث؟ أم أن زيف ادعاءنا يأبى الشروق جليا من نبرة أصواتنا؟؟

أعتقد أنه حان الوقت أن أوهمه بأني لا أستطيع المضي قدما على هذا النحو المرهق وأن حرارة حبه في قلبي تأبى إلا اللقاء!

لواعج الشوق فيَّ تنتظره كل ليلة على أسرة من جمر..

لابد أن يأتي ويطفئ بركاني.. يخمد ثورتي المتأججة.. يصهرني بين ذراعيه المفتولتين ولن يندم أبدا!!

******

"لماذا أختي بالذات؟؟"

صوت نانسي الداخلي يصرخ كالعادة بصمت مريع....

"أحمد الرجل الوحيد الذي أحببته من كل قلبي، نعم مررت بتجارب عديدة قبله بيد إلا واحدة منها تجرأت على النفاذ إلى أعماق إحساسي وروحي...

الآن فقط يمكنني القول بأني حييت في يوم ما...

كيف كنت أعيش من دونه؟؟ كيف كانت الحياة قبل عينيه؟ قبل جنونه؟ قبل الشغف الذي منحني إياه؟؟

ماذا أفعل؟ لماذا الأقدار هكذا؟؟؟

obeikan.com

لا يجدر بي التخلي عن حبي أبدا... سأدافع عنه بنفسي.. لن أهرب هذه المرة.. لن أتقوقع داخلي وأكتئب في انتظار انقضاء الأيام السوداء... أعلم يقينا أني نحس أو معمول لي عمل كما تقول والداتي لكن...

هذي المرة ليست ككل المرات.. هذه المرة بالذات أكون أو لا أكون.

هو الحياة وأما بعده فلا شيئا سوى الموت.

لكن.. ملك؟؟؟

ملك قالت لي أنها لا تحبه ولا يشغل بالها مطلقا وهو قال أنها كانت علاقة إلكترونية عابرة لا أكثر... حسنا ما المشكلة؟

أبي؟

لم يرَ ذاك الوغد الذي رافقته ابنته وأمرغت شرفه معه..

لكن حمدي رآه...

حمدي مازال على اتصال بأبي يبتزه ويستشيطه غضبا من آن لآخر..

اااه كنت أشعر أنه دنيء وضيع لكن لم أتخيل يوما أنه يصل إلى هذه الدرجة، ماذا لو رأى أحمد وأبلغ أبي؟! سينتهي الموضوع إلى الأبد؟

لاااااا

سأهرب مع أحمد إلى ما تمضي بنا الحياة لكن.. لست بهذي الجرأة التي تدفعني لفعل هذا في أبي..

obeikan.com

وأمي؟ ما ذنبها ألا تعيش اليوم الذي طالما حلمت به طيلة حياتها؟

كيف سأعيش وشعوري بالذنب حيالهما طنين في أذني يؤرق سعادتي مع أحمد؟

يااااااااااااااااااااارب

مالي سواك يااااااااااااااااااارب..."

******

غضاضة الشعور بالذنب حياله تفتك بسلامة عقلي.. تبلبل افكاري.. تصيب قلبي بامتعاضة مخيفة..

خطتي أمام شفقتي به متلاحمان طوال اليوم في حلبة رأسي في عنف وضراوة.

ولا أفتأ أن أرتاح إلا في ساعات النوم المعدودة.. أرقد بلا حراك كأني جثة هامدة من جم ما أعانيه طوال اليوم من عواصف تعتمل في نفسي...

استبد بي الظلم.. كنت ضحية في يوم ما... مثلك تماما يا أحمد.. يا له من شيء قاتل أن يفكر الملاك برأس شيطان.. لله الأمر..

لا تعظمين الأمور هكذا وتعطينها حجما أكبر مما تستحقه.. لا ثمة شيء يستحق كل هذا!

وماذا يحدث إن اكتشف أني لا أحبه وأني كنت أستغل صدق مشاعره كأداة

obeikan.com

لحيلتي الخبيثة كي أخون به زوجي وأدمره كما دمرني؟ ماذا خسر هو؟؟

بالعكس سيكسب ما لم يستطع عليه مئات الرجال صبرا.. مضاجعة امرأة مثلي! من يدري؟ ربما الذي تختنقين اليوم من فكرة جرحه يخطط هو لقتلك بالسم البطيء... ربما الذي تتكلفين حبه يتكلف هو غباءً ممنهجا وطيبة خلابة للإيقاع بك والتورط فيه... حيلهم لا تنفد... وموضة هذه الأيام الرياء بالخطايا والإثام كنوع من "الفضفضة" لتقريب المسافات واستدرار العطف... ومن يدري ربما ينقلب السحر على الساحر؟؟ ربما أصدق الكذبة التي أتفنن كل يوم في أن أحكم حبكها عليه كشأن كل الكاذبين؟

لا! كتبتها في لافتة عريضة وثبتها بمسامير غليظة صدر كل خلايا قلبي...

"لن اعشقك يا أحمد.. لأن العشق يدمر كل شيء".

******

(افتكرت فضلت أضحك والدموع...

نزلت أوي وجريت أوي وحشتني أيامك أوي...)

رنين هاتف لأحد الجالسين في "الكافيه".. كفيلة أن تبعث مقطوعة بتلك البساطة أحزانًا بهذا الشقاء...

يشرد معها أحمد غائما زائغ العينين إلى النافذة المعتادة.. قد مر شهران

على احتدام المأزق الكبير لم تستطع نانسي انتظار المجهول أكثر من هذا..

بعصبية مكتومة تفوهت بكلمتين بوقع رصاصتين من فوهة بندقية كاتمة الصوت قطعت شروده في لحظة:

- لابد أن نتزوج!

- أنتِ مجنونة؟

- البركة فيك

- ومشكلة ملك التي كانت لا على البال ولا على الخاطر و مكتب الترجمة وروتين مصر الـ.....

- أتى "عريس"

- مبارك عليكِ.

- أنا لا أمزح!

- ولا أنا.

تهم بأن تبكي لكنها لا تريد.. تُصدَم فتتسع عيناها.. يوخزها قلبها... تسخن معدتها وتفرك قليلا.. فتبتلع ريقها و تتبسم!

(ما تقولي هو مفيش طريقة فيها أنسا!!!!!اك أوي؟)

******

obeikan.com

كم كنت أتمنى أن أستهل حياتي مع رجل مثلك...جئت متأخرا يا أحمد..

متأخرا جدا..

لماذا تأتي الأشياء دائما بعدما نفقد الرغبة في امتلاكها؟؟

لا...لا أستطيع المضي قدما...

روحي محروقة على الرغم من وجهي الذي تنبهر به في الصور! عندك حق فوجهي لا يشبه الألم حقا فيما عدا ذلك الجزء الغائر في بؤبؤ عيني يتلوى..

أسفة يا أحمد...

لا غيرك في طريقي.. وبك أو بدونك سيتم ما أريد حتما.

رفع قلمي وجفت صحفي كما جففت.. لقد حانت اللحظة الحاسمة.

أخذت أمسح وأكتب وأكتب وأمسح حتى توصلت إلى الصيغة المناسبة التي لا يستطيع رجل مهما كان أن يقاومها... ففوجئت بأنه....لم يرفض!!

هذا الذي أريده وأخطط له منذ الكلمة الأولى بيننا.. فلماذا أشعر الآن بمرارة في حلقي تكاد أن تمزقه؟

ما مصدر هذا الألم الذي يشقق قلبي؟؟ ماذا كنت أتوقع؟؟

أن يمنعني ويحافظ عليَّ من شرور نفسي؟

أن يقول لي مثلا لا يا ملك أنتِ أكبر من ذلك بكثير.. سأساعدك في الطلاق منه لنتزوج!

openkan.com

يبدو أنني سأكف عن هذه الأحلام الساذجة عندما أموت فقط.

عالعموم أنا لا أحبك.. تعودت على الحديث معك لا أنكر.. لكن قلبي مازال في يدي..

والحمد لله إني لم أقع في شراك من هم على أمثالك..سآخذ ما أريده منك ثم ألفظك لفظا.

أقول لك شيئا؟ أنا في قمة سعادتي الآن إنك ظهرت على حقيقتك.. عالأقل أرحت ضميري الذي كان يوخذني ببلاهته المعهودة كل ليلة؛ لأني أستغل طيبتك!

الذين ضحكوا حتى البكاء.. أنا أولهم!!

أمعنت النظر كثيرا على موافقته التي حزَّت في نفسي فلم أرد بكلمة واحدة.. وجدت العلامة التي تعني أنه يكتب..

لم أستطع انتظار الرد من فرط الاشمئزاز والقرف لن تصدقوني إذا قلت إني تقيأت على "اللاب" فعدوت إلى الحمام قفزا وأفرغت ما بداخلي حتى كدت أن أتقيأ معدتي ذاتها!

******

ولا ثمة شقاء أكثر من غروبنا في بحر الغياب نتمسك بتلابيب الصمت

٢٠١٥/٨/١٠

obeikan.com

#مذكرات___امرأة___أوفر

******

في اليوم التالي.. تحججتُ بأن "النت" فصل أمس وأكملنا حديثنا... لم أستطع التظاهر بعكس ما في داخلي أكثر من ذلك..

اتفقت معه على الميعاد..الساعة السادسة مساء.. نفس الوقت الذي سأتصل فيه بحمدي على أني فاعلة خير تخبره بما يجري الآن في شقته من وراء ظهره... أخبرته أني أقطن في الطابق الخامس في نفس العمارة التي بها عيادة صديقه الدكتور عصام... على أن يتم التنفيذ غدا..

لاوقت للانتظار..

******

سأصفح عنك...

هذه النهاية التي كنت سأذيل بها حديثنا....

آثرت أن أشي بها حاليا قبل أي شيء...

لا أتحمل رؤية كل هذا الضعف في كل هذه القوة...

لست سادية كي أفرح بذلك ياسيدي...

بالرغم من أنني أضعت على نفسي فرصة أحاسيس استثنائية لن تتكرر...

obeikan.com

كنت على وشك الآن أن أكون كنيستك.. عذراءك التي تتعرى أمامها من كل ذنوبك.. ثم تجثو على ركبتيك طالبا الصفح.. لقد انقطعت يا بضعا مني عن الاعتراف منذ عهد لا بأس به لكنك كنت تعلم يقينا أنه يمكنك الذهاب إليّ في أية لحظة وكان ذلك يكفيني....

لا تعترف!

لاتطالب بالصفح!

فقط عد إليَّ.. سأدثرجسدك العاري من الفضيلة بردائي...

ستعود حينها طفلا في أحضاني.. ما مسته خطيئة أبدا...

سأصفح عنك...

هذه النهاية التي كنت سأذيل بها حديثنا...

٢٠١٥/٩/١٠

#مذكرات__ امرأة___ أوفر

******

في اليوم التالي.. العاشر من فبراير..الساعة الخامسة مساء.

وجدت أحمد يرن جرس الباب.. نظرت من العين السحرية.. فوجدته.. وثب قلبي وارتعشت يداي. ماذا أفعل؟؟

obeikan.com

التقطتُ أنفاسي وهدأتُ من روعي ثم فتحتُ له...

شعور غريب أن ترى الشخص الذي كنت تحدثه على "الفيس" أمام عينيك..

شيء أشبه بأحلام ما قبل النوم.. فترة اللاوعي بين اليقظة والسبات حيث المزج الفريد بين الواقع والخيال..

أو كشعور الفتاة المراهقة عندما ترى أمامها لأول مرة النجم الشاب الذي كثيرا ما أسهد ليلتها...

شعور مثير حقا.. خصوصا لو كان الذي تكلمه شخصية مميزة بالنسبة لك...

جذبتُه من يده إلى الداخل وأغلقت الباب فورا..

نظر إليَّ نظرة عميقة... لا يمكن أن نلوم أي امرأة تقع في عشق هذا الرجل.. إنه ساحر فعلا!!

شكله أجمل بكثير من صوره.. فيه شيء ما يوقف قلبك.. يملاؤه بركام من علامات الاستفهام الحائرة.. ما قصة هذا الرجل؟؟

حتى وإن سمعتها الآف المرات... تشعر أن وراءه ألغازا وأساطيرا لا تنفد... ألف مليون ليلة وليلة...

في رأيي هو ليس وسيما بالقدرالكافي لكن به سحرًا ما لا تدري سببه..

أهو كلامه العذب.. حنانه.. أراؤه الغريبة.. مغامراته التي يحكي عنها؟ أم

obeikan.com

الطابع الفرنسي الذي يضفي عليه رقيا لا يضاهيه أحد؟

ظالم الحسن كما قالت "الست".

تركني ودلف إلى الداخل.. مر بالسفرة ثم فتح الباب "الأكورديون" حيث حجرة "الأنتريه" وجلس دون أن آذن له كأنه يدخل بيتا يعرفه منذ أمد!

ما هذا؟! إنه واثق الخطوة يمشي ملكا أيضا! جلست على الكرسي المقابل له وأنا في أشد خجلي، سألته لماذا أتى ساعة مبكرًا فلم يجب..

ما زال مثبت عينيه العميقتين عليَّ وفجأة نهض وجلس على حافة الكرسي الذي كنت أجلس عليه، أمسك برأسي وقبلني بغتة قبلة عنيفة.. صرخت وابتعدت عنه.. سببته واتهمته بالحيوانية والسفالة.. اعتذر وارتبك كثيرًا ثم أخذ يهدئ من روعي لكني لم أعطِه أي فرصة.. طردته شر طردة بعصبية شديدة.

******

"المأساة أنك غامرت بأغلى ما فيك..

روحك..

كان بإمكانك أن تغامر بأي شيء عداها!

ما أصعب الموت المفاجئ. ربما من تشكو من قلة اهتمام حبيبها وجفاءه لها أحسن حالا مني بكثيييير! فهو برحمته يعدها ويمهد لها طريقا أخف

وعرا من طريق العذاب المطلق! يرخي ويثقل.. يجذب وينأى.. يحقنها الألم جرعات على قدر الاستجابة.. شهرا لا يهتم وشهرا يخنقها باهتمام مفتعل. أسبوعا يقربها حد التوحد وأسبوعا يصدها حد النهاية... أياما يعاتبها بقسوة.. أيامًا لا يعيرها التفاتًا.. لا يميتها مرة واحدة... الموت حقًّا مرة واحدة ولا ثمة من يموت على دفعات كما قالوا!

نحن نتألم على دفعات..

نوهن على دفعات..

يُقتل الحب فينا بعد عدة طعنات وليس بعد الطعنة الأولى أبدا..

لكن الموت مرة.. كما أن الحياة هي الأخرى مرة....

الذي يموت بلا مرض بلا عناء بلا سابق إنذار يخلف وراءه ألما بلا مداواة.. ألما يستعصى احتماله..لذا فالذي ينذرك باحتمال فراق قبلها أشكره بحرارة!!

الذي يسلب الأمان من قلبك على مهل.. مشكور... مشكور لا جدال!

ربما يجعلك تحزم أمتعتك وتقرر أنت الرحيل على غرة وكبرياءك في الحفظ والصون.....

ربما يميت العلاقة بالملل والفتور والتعاسة فتختار نفسك بكامل إرادتك وتنسحب منتصرا لها...

ربما يزرع فيك كراهية.. ربما يخلق بداخلك نفورا، احتقارا، خيبة أمل، أي إحساس وضيع من شأنه أن يشد أزرك ويربت على كتفك ويعينك على الوداع برأس مرفوع وقلب غير منكس وبوادر صفحات جديدة تنال فيها ما تستحق وتعوض بها ما فاتك..

لأنه يهيأ في قلبك نفقا ربما يقودك للقاء نفسك في نهاية الطريق...

أما الفراق المباغت يوقف القلب والعقل والروح لأنك تحتاج بعده فترة - لا بأس بها -لحين الاعتراف به فقط فما بالك بالمضي قدما بعده؟

الفراق المباغت أو الفراق وئيد الخطى كلاهما موجع - أنا أعرف ذلك تمام المعرفة - لكني أفاضل هنا بين أخف النهايتين.. أخف الميتتين....

هذا الحديث لكل من تعرض لموت على غرة... لأصحاب القلوب المراق دمها هدرا..أما الذي أذله حبيبا.. أو أضناه جفاء... أو عذبه إهمالا... فهنا ليس مكانه.

هنا...

أنا وأصحاب البغتة فقط... أتعرفون من هم أصحاب البغتة؟؟

هم أناس قُدِرتْ لهم السعادة لكن الدنيا أبت.

أقوياء جدا... هم أقوى من يمكن أن تقابل في حياتك.... أقوياء لدرجة أنهم يحاولون إقناع أنفسهم أن صدمة الموت المفاجئ لا وجود لها وأنهم قادرون على العيش بعدها ببضعة أيام أو بعدها فورا!

هم أناس عاشوا في جنات وعيون ثم سقطوا لأسفل أسافل الجحيم ولم يحتج الأمر إلا لثوان معدودة وبدون حساب!! بدون إطلاعهم حتى على صحفهم كأنهم حيوانات ليس خليقا بها أن تفهم أو كانوا مهمشين عدميين لدرجة أنه لم يكن لهم صحف من الأساس.

لهم عزاء وحيد هو...

أن الذي ينال ألمه على دفعات يموت في النهاية...

والذي ينال ألمه جرعة واحدة يموت مثله أيضا....

فكل السكك تؤدي إلى الموت... لا فرق".

٢٠١٥/١٠/١٠

#مذكرات___امرأة___أوفر

******

يبدو أن عليَّ التصالح مع فكرة أن أحمد لا يحبني!!

غروري يمنعني... تذكري جيدًا... ما أحمد إلا وسيلة لغايتك.. لا تنسى..

لاتنسي وإلا ستضيعين..

يالغبائي.. الحظ واتاني ثم رفسته كالحمقاء... يالحنقي مني!

فتحت "اللاب"، أردت أن أبعث له رسالة أعتذر عما بدر مني، لا أريد أن

obeikan.com

أخسره فأخسر معه خطتي..

وجدته يبادرني هو بالاعتذار، فقد سبقني برسالة مفادها أنه ما كان عليه أن يتسرع بهذا الشكل الأحمق، وأن علينا أن ننسى ما حدث....

أزاح عن كاهلي الكثير بقوله هذا فمسحت كلمات كنت أرتبها بعناية شديدة كي أستدر عطفه.. شكرته ووعدته أن أسامحه!!

تغيبت بعدها عن "الفيس" حوالي ثلاثة أيـام... كاد أن يجن من هول الرسائل الذي أرسلها...

تعللت بأن أعصابي كانت تالفة ولم أكن في حالة يسمح لها بالكلام..

دخلنا في مواضيع شتى بعدها.... استمر الحال على هذا المنوال بضعة أيام.. ثم تغيبت بضعة أيام أخرى أستجمع فيهم نفسي ثم...

فتحت "اللاب"...بنفس جديدة وشعور جديد..

أضحيت أكثر عقلانية ونضجًا.. أعتقد أني أضع الآن الأمور في نصابها.

وجدته "أون لاين" تحمست أكثر...قلت له إني أقصده في خدمة العمر... دخلت إلى الموضوع من أقصر الطرق.. لم أتجمل هذه المرة.. بل على الأرجح إني لم أتحمل فكرة التمثيل ثانيا وخصوصا بعدما اكتشفت أنه من النوع الذي لا يستحق أن يكذب المرء من أجله.

قلت بوضوح شديد:

obeikan.com

- أريد أن أقوم بمشهد تمثيلي صغير. أخون زوجي ويرانا معا وأكون بذلك ضربت عصفورين بحجر واحد.. تخلصت منه وأذقته جرحا غائرا سيثبت في خياله للأبد.

في البداية عارضني بلطف وأخذ في إقناعي بترك الفكرة وإبعادها عن رأسي لكني لمحت في كلامه أنه معجب بها أشد الإعجاب وأن اعتراضه عليها يكمن في مدى خطورتها وأن تنفيذها قد يكلفنا حياتنا..

فهمت في لمحة واحدة كل شيء....

شخصية كشخصية أحمد يعتبر ما يمر به معي مغامرة جذابة شديدة الإثارة تكسر روتين "التخين"!

فيلم سينمائي يقوم هو بدور البطل غير المتوقع الذي يقلب الأحداث رأسا على عقب، لكن لا يوجد بطل جبان، الجبناء لا يغيرون شيئا.

استفززته بكلامي ثم أقنعته بمدى هشاشة شخصية حمدي.. وأنه لو تفل في وجهه فقط سيكون هذا أقصى ما يمكن أن يعبر به عن غضبه وثورته!!

هكذا حمدي الذي أعرفه... تطبيقا عمليا للمثل القائل "يخاف ما يختشيش". وما كنت أطمئنه فحسب، بل كان هذا هو حمدي...

ثم وعدته بالفوز بما لم يستطع عليه بالأمس وبعثت "إيموشن" على شكل شيطان صغير وغمزة. بعث "إيموشن" ضاحك ثم قال: لو لم تحلفي!

obeikan.com

ياااااااااه الأمر بكل هذه السهولة!!!

كثيرًا ما نفكر ونرتب ونخطط ليال كاملة بينما الأمر لم يكن يتطلب إلا أن نقول ما نريده فقط!! أه لو فهمت النساء تلك الحقيقة!!

لاسترحنا جميعا.

******

حيث النفق المظلم الذي لا يسع لإبرة أن تلجه دون أن يحوي هيكلها مزيدا من الخواء...

أي سِفْر للخروج بإمكانه أن ينقذني؟

أي إصحاح للمسار يوفي بالهدى؟

أي آية تصدق في حديثها دون أن...

فلتكن مشيئة النفس!

٢٠١٥/١١/١٠

#مذكرات___امرأة___أوفر

******

في اليوم التالي.. السابع والعشرون من شهر فبراير..

جاء أحمد في موعده.. الساعة السادسة مساء.. تركته في الصالون ودلفت

obeikan.com

إلى الحجرة كي أتصل بحمدي..

غيرت نبرة صوتي.. وضعت منديلا على السماعة وأبلغته أن شرفه الرفيع يدنس الآن....

أبدلت ملابسي.. تعمدت أن أطيل الوقت لإثارة خيال أحمد من ناحية وكي يضيع الوقت إلى أن يأتي حمدي من ناحية أخرى...

ارتديت قميص نوم أسود اللون شفاف ثم ارتديت عليه "الروب"

تبرجت ببعض المساحيق على استحياء فقد كنت أبدو أجمل حين أضع القليل منها...

انتقيت قنينة عطر رائحتها تذيب أعتى القلوب عطرت بها جو الغرفة ثم نمت على السرير ثانية إحدى قدماي في إغراء واضح...

ناديت أحمد فلبى على الفور...

وقف على باب الحجرة محدقا بعينيه الشقيتين ثم ابتسم ابتسامة خبيثة وهو يفرد إحدى رجليه ثانيا الأخرى أمامها مكتفا يديه أمام صدره مائلا برأسه قليلا كأنه نجم سينمائي يتصور لألبومه الجديد الذي سيقلب العالم.

- ستقف هكذا كثيرا؟؟

- لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين!

ضحكتُ بإغراء جامح:

obeikan.com

- يا ولد يا مؤمن! تعالَ أحسنلك

- وإن لم آتي؟؟

- لن تستطيع.

قلتها وأنا أنقض عني "الروب" وألقيه ناحيته فأصاب وجهه مباشرة..

تنفس عبيره طويلا... ثم اقترب.

******

في نوفمبر يوشك كل شيء على الانتهاء.

هزمتْ كبرياءها وبادرت هي بمكالمته بعد شهور من مقاطعة هاتفية.. اتفقا على المقابلة ليضعا معا حلا جذريا لعلاقتهما.....

- ألن تَكُفي عن هذه السذاجة أبدا؟! ملك مازالت تحبني وشخصية كشخصيتها لن تستطيع أن تنسى ما كان بينا بسهولة...

- ما كان بيننا؟؟

- من إعجاب أقصد لا يذهب عقلك بعيدا....

- وأنت؟

- قلت لك إنها كانت نذوة وانتهت.

- حسنا، وأنت من يهمني على أية حال!

obeikan.com

تخرج من حقيبتها بضعة الآف من الجنيهات. تضعهم على الطاولة أولا ثم تدفعهم ناحيته قائلة:

- مصاريف الرشاوي أو الروتين المصري أو الشاي بالياسمين أو ما بدا لك أن تسميه...

- لا أفهم؟ من أين أتيتِ بتلك الأموال؟

- ليس مهما فـ.....

- انطقي أموال من هذه؟

- لالا عقلك لا يذهب بعيدا.. لم أقترض ولم أسـرق.أمـوال حلال مائة بالمائة.

- من أين أتيتِ بهذه الأموال؟

تعلم نانسي أنه مادام كرر سؤاله بتلك النبرة بالذات فإن صبره سينفد وسيحدث ما لا يحمد عقباه فجاوبت بوضوح واقتضاب كما عودها أن تفعل معه متحديا طبيعة الأنثى في المماطلة ومط الكلمات. قالت أنها باعت مصوغات قديمة من خطبتها السابقة لينفقهم على مكتب الترجمة الذي يريد فتحه فقال مستنكرا:

- نعم؟! أنقد مالاً من امرأة كي أستطيع أن أعمل؟! أجننتِ؟ وماذا بعد الزواج؟ ستغدقين علينا من خير رجالك السابقين؟

obeikan.com

- رجالي؟! ماذا تقول؟ جئت اليوم لأضع حلا جذريا لكل ما تختلقه من معوقات، ملك نستك تماما وأنت أيضا نسيتها كما تقول، المكتب الجديد يحتاج لمبالغ جديدة لم تكن في الحسبان كما قلت لي، قادم من فرنسا طبعا حيث واحد زائد واحد يساوي اثنان فقط بلا أي واسطة أو شاي بالياسمين.. وها المبلغ الذي تريده وأكثر، ها ما المعضلة الجديدة؟ أن تقرضك امرأة مالاً؟ ما كانت في حسباني تلك لأني أعلم أنك رجل متحضر يحترم المرأة وليس شرقيا رجعيا يردد جملا عنصرية بجهل واضح...

أليس هذا كلامك؟

-.....

بُهِتَ الذي كذب.

******

- ما رأيك في؟

- هل عندك شك أنكِ أحلى امرأة في الدنيا؟

- كاظم من أولها! أنا ممكن أدوخ.. أجمل ما فيك أنك تقتحم قلوب النساء بأقل جهد ممكن...

- لكني أبذل قصارى جهدي في اقتحام أشياء أخرى....

قهقهتُ عاليا بضحكة مغناجة ثم أردفت قائلة:

openkan.com

- أنت منحط وسافل.

- وماذا أيضا؟

- وسيأتي زوجي الآن يلقنك درسا بعمرك.

- ما هذا الرعب!! ما كنا "كويسين"

- هههههههه لا تقلق.. كل الأمور تحت السيطرة.

- يا مسيطر أنت...

- قل لي بالحق، مالذي دفعك لخوض مغامرة كهذه؟ غير وعدي طبعا!

- سأقول لك.. أنا أصدق كل ما تقولينه، ببساطة لأن مثلك لا يستطيع الكذب حتى وإن أراد..

رجال معقدون يمارسون سطو مسلح على زوجاتهم كل يوم، عقد نفسية وأمراض وبلاوي زرقاء والبيوت المصرية فيها ما هو أفظع من قصتك، أتعلمين كم امرأة كل يوم تنام مضروبة أو مغتصبة أو تم ممارسة إرهاب فكري ولفظي وفعلي عليها؟؟ هذه الأم المهان كل ما فيها مطلوب منها أن تنشئ أجيالا سوية رائعة كيف؟

عندما سافرت إلى فرنسا واختلطت بالنساء هناك، أدركت أننا نعيش هنا في بالوعة كبيرة تسمى وطنا!! أدركت أن أمامنا سنينا ضوئية كي نصل إلى ربع ما هم عليه... احتقرت هذا الشعب.. ازدريت عدم احترامنا لأي

obeikan.com

قانون، وكيف نحترمه إذا كان يطبق على بعض ويفلت منه البعض الآخر؟ كيف نحترمه وهو قانون فاسد ينظم حركة الفاسد؟

كنت كثيرا ما أتحامل على المرأة التي تتلقى صنوفا من الإهانات ولا تفعل شيئا، كنت أرى أنها خاضعة خانعة بشكل ما.. شريكة فيما هي فيه بصمتها وعجزها وقلة حيلتها...لكنني أدركت حاليا أني كنت قاسيا جهولا..

- لماذا؟

- المجتمع هنا لا يرحم...

المطلقة تعامل على أنها رخيصة مستباحة العرض يتكرم أحدهم إذا تنازل وتزوجها عرفيا حتى!!!

تتعرض لمضايقات في عملها لذنب لا ذنب لها فيه.. والمرتب لن يكفيها هي وأطفالها نصف شهر حتى، هذا إن استطاعت أن تجد عملا من الأساس في ظل ظروف اقتصادية بشعة وسرقات لخير هذا البلد من كل اتجاه...

الوضع هنا مزري للغاية يا ملك.. مزري إلى حد لا يمكن تصوره...

أريد أن ألقن واحدا من هؤلاء التعساء درسًا لا ينساه. .هذا غير جنوني بجمالك طبعا.. والوعد الذي وعدتيني إياه.. الكذب خيبة..

الجمال حافز لظهور أجمل ما فينا وأسوأها في نفس الوقت!

- لاتقلق وعد الحر دين عليه، ألا تعرف أن تتحدث قليلا من دون نكد؟ يا

obeikan.com

ساتر

- هههههههه أنا غلطان، تعالي أعوضك...

- لاااااااااا ثواني ثواني...

******

وأعوذ بالله من امرأة عصية الدمع....

٢٠١٥/١١/١٠

#مذكرات___امرأة___أوفر

******

سمعنا صوت مفتاح يدخل باب الشقة، اعتلتُه فورا في توجس وخيفة، أحسستُ بوقع أقدام حمدي يستحث الخطى نحو غرفة النوم التي تعمدت أن أتركها مفتوحة...

أخذتُ في تقبيل أحمد في نهم وجنون...

دفعني عنه حتى هويت إلى جانبي... ثم نظرنا مبهورين العينين ناحية حمدي...

تشبثت بأحمد وأنا أنظر له بتحد وقوة!!

أخيييرا...

obeikan.com

هم حمدي أن يمسك بياقة قميص أحمد ويخنقه لكن المنافسة كانت مضحكة للغاية...

حمدي كان قصيرا نسبيا نحيل البدن يبدو بجانب أحمد كأخوه الصغير...

ما إن وقف أحمد حتى اختفى حمدي عن أنظاري تماما....

هم حمدي بضربه بسكين كانت في جيبه يبدو أنه أحضرها من المطبخ قبل دخوله الغرفة، فلوى يده أحمد وباغته بلكمة قوية تحت ذقنه جعلته يعض لسانه وهو يهوي إلى الوراء حتى خُبِط دماغه في الحائط فصرخ في ألم مقيت...

لم يترك له أحمد فرصة أن يعي حتى ما يحدث...

كان هناك معطفا شتويا طويلا معلقا على الشماعة بجانب الباب دثرني به ثم أخذتُ حقيبة يد كبيرة نسبيا كنت أعددتها سلفا بجانب باب الشقة فيها كل ما أريد... ارتديت حذاء أعدته بجانبها أيضا وكذلك أحمد، جذبني من يدي وأغلق وراءه الباب!!

حمدي ينظر لكل هذا في ذهول وشبه إغماءة.

******

obeikan.com

الفصل الثالث

"يؤلمني صراخ روحك يا نانسي أكاد أسمعه يصل إلى أذناي طنينا يؤذيني..

يطبق على أنفاسي..

سامحيني حاولت كثيرا أن أحبك لكن الحب وحده الذي يكفيك فيه خيبة المحاولة!

كفاني اصطناعا وتمثيلا رغم أنف قلبي..

تعتبريني قتلتك حقك وها روحك النقية تحفني في هلع وكبرياء غريب..

ليتك تعلمين أني لا أقوى على قتل ذبابة..

كنت أود ان أبدأ صفحة جديدة معك لكن الصفحات السابقة تسوقها إلينا عواصف الذكريات لتطغى.. تقتلع حبك الهادئ المستكين من جذوره ثم تضرم النيران فيّ ولا ذنب لك أن تتحملي قلب رجل مر بألف فصل شتاء وحده.. وحدك ستعانين... اخترت لك الخلاص.. اخترت لك الحماية.. أعلم أن حديثي الآن لن يجدي شيئا لكنك يوما ما ستفهمين...

obeikan.com

لم أخدعك يوما... لم أكذب عليك يوما.. أُشهد الله على ما أقوله..

كنت صادقا حد اللحظة التي أنطق فيها.. كنت صادقا في الوهم.. صادقا جدا

أتعلمين لو كان الأمر بيدي.. لاقتلعت كل ما خلَّفته لورا من حضارات بداخلي. لمحوت صورتها الأزلية من بصيرة روحي.. وأبدلتك بها..

أنا مخرَّب يانانسي.. تشوهات الزمن حفرت بروحي وجسدي آبار عميقة من البؤس والتعاسة..

أتعلمين لو كان الأمر بيدي.. لأقلعت كل ما أخلفته فيك من ندم وحسرة ومرارة أكاد أتذوق طعمها.. فمن أعلم مني بها؟

أتعلمين لو....

لا أستطيع أن أعتذر ليس لأني متكبر لا يعترف بخطأه شأن ذكور الشرق لكن لفظة آسف هنا قمة الاستخفاف بالمعاناة والألم حاشاي أن أفعل ذلك بالتي أحبتني رغم ما أنا عليه...

لم أكن أعلم أنكِ ستعشقيني لهذي الدرجة! ظننتكِ مثقلة بكم التجارب والخذلان قبلي وليس بقلبك مكان تضعيني فيه.

ظننت أن نضجك العاطفي والعقلي سيمنعك من محاولة التشبث بقلب مراهق نزق مثلي...

obeikan.com

كان عشقك فوق كل التصورات.. فوق كل التوقعات.. أحالكِ طفلة يتيمة تستنجد بي.. تتشبث بتلابيبي أن أكفلها في حين يؤذيني صوت الشيخ العذب وهو يقول:

(وأما اليتيمَ فلا تقهر)... فتدنيني الرأفة إليكِ وتيه العشق السابق يبعدني...

اااااااااااااااااااه

ذنبي كبير.. كيف تطلبين مني استمراره وأنا قادر على التوبة منه؟؟ أنا قادر لأني ببساطة شديدة وصدق مقزز...

ما زالت أحب لورا".

تلك هي الرسالة التي كتبها أحمد ليرسلها إلى نانسي لكنه أرسلها إلى سلة المهملات بعدما تقيأ عليها بالحقيقة اللاذعة.

******

أخذتُ أول "ميكروباص" ذاهبا إلى الإسكندرية أنا وأحمد، وبعدما أوصلني إلى بيت والدي بعث إليَّ رسالة يسألني فيها عن وعدي فقلت له:

"نعم وعد الحر دين عليه لكنني لست حرة.. أنا خائنة اهااهاهاهاهاهاها".

******

obeikan.com

في"الكافيه" المعتاد بعد مراوغات لا حصر لها...

- نعم أحببتك يا نانسي لكن ليس بالشكل الذي تتصورينه... يمكنني أن أحب لأنه أمر لا شأن لي بي لكن لا يمكن أن أتزوج حاليا.. لست مؤهلا لفكرة الزواج.. الزواج ليس قدرة مالية أو بدنية فحسب... أنا لا أقوى على إسعاد أي امرأة يحالفها حظها العثر أن تكون معي...

لماذا تحبينني إلى هذه الدرجة؟ فيم تتعلقين؟ أنا قشرة يانانسي..

قشرة خارجية للرجل المتفتح المتحضر الواعي لكني في الحقيقة بركان قلق وتخلف ويأس وموت.. ماذا تعرفين عن شرودي؟ عن صمتي؟ عن كوابيسي كل ليلة؟

كم تسحقني آثار الماضي حتى أخلفتْ حفرا بجسدي وروحي لا تردم أبدا، أنا الشيء ونقيضه في صراع مطلق...

لو اقتربتِ مني أكثر من ذلك ستكرهيني.. والله العظيم ستكرهيني.. وأنا أتحمل أي فكرة إلا أن تكرهني فتاة بريئة مثلك لأن ذلك معناه أن الله لم يخلق من هو أسوأ مني.

أنتِ أعادتِني للحياة مرة أخرى وبمنتهى الغباء لا أعلم كيف أعدت نفسي للموت ثانيا؟ أنا في ثانية ممكن أهد الدنيا كلها وأهرب.. أهرب من كل شيء...صدقيني يانانسي... ما فعلته في حياتي وخصوصا بعد وفاة زوجتي لا يجعلني أكمل بقية حياتي مع فتاة نقية مثلك.. سأدمرها سأموتها.. لن

تتحملي فكرة العيش مع رجل مثلي..غير مستقر.. كل دقيقة بحال.. كل ثانية بحالات!! هذه الحقيقة المؤلمة التي يعمى قلبك عن رؤيتها....

تتحدث نانسي في سرها كأن الحروف تصلبت على شفتيها فأطبقتهما:

"هكذا تحول أحمد من مدافع عن نفسه دارئا عنها أية ذنب إلى شخص محطم جرفته الخطايا... هكذا تحول في لحظة.. بعدما كان لا يفتأ أن يقنعني أنه لا ثمة شيئا بينه وبين أختي! لا يفتأ الآن إلا أن يشعرني بكم تعاسته وبؤسه وضعفه وإني أستحق من هو أحسن منه بمراحل".

- لا أحد اقترب مني إلا وتوجع.

- كل السكك آخرها الموت.

******

"هل هذا ذنب خطَّابي السابقين؟"

تنظر نانسي في مرآة التسريحة مثبتة النظر إلى عينيها...

"كنتُ أتركهم وفي عينيهم تلك النظرة.. مرة أرضي أبي، ومرة أرضي أمي، ومرات أحاول فيها إرضاء قلبي فلا يرتوي أبدًا.. كان يرشف من حنانهم ويتخيل أنه في حالة حب وتركي إياهم ليس دلعا وإنما عن أسباب منطقية ومقنعة علي الأقل بالنسبة إليَّ.. أما الذين ظننت أني أحبهم فعلا فتركوني بلا سبب غير أني ما شعرت يوما بالحنين! كنت أتسائل دوما هل

obeikan.com

هذا هو الشخص الذي سأتزوجه؟! والإجابة.. لستَ بحاجة إلى أي إجابة مادمتَ تسأل هذا السؤال! لماذا لا يرضى أن يتزوجني؟ هل لأني تساهلت معه من البداية؟ لا أحمد لا يمكن أن يفكر بتلك الطريقة".

تسأل نانسي ملك التي جاءت من بيت الخالة بعد إلحاح والدتها الشديد.. تسألها محاولة أن تشرك أحد في حيرتها كنوع من "الفضفضة" لكن بشيء من المواربة حتى لا تصاب بمرض نفسي من طيلة الكتمان...

- ملك.. هل يمكن للرجل أن يتزوج من امرأة أخطأ معها؟

- نعم.

- كيف؟! الرجل الشرقي لا يقبل والمجتمع يفرض عليه قيودا ناهيكِ عن الشك في أخلاقها بعد ذلك و.....

- الحب الحقيقي بوصلة بلا إتجاه شرقي أم غربي، بوصلة سهمها الوحيد يشير صوب حبيبك..

لو أحبها بحق ما وضعها في هذا المأزق ولو حدث - فرضا - ما سمح لهذا المجتمع أن يضعها فيه ولأصلح ما أفسده في الحال..اختبار أن تهبي جسدك لمن احببتيه هو اختبار عقائدي بحت لا ثمة علاقة له بالحب..

- بمعنى؟

- أعني أن تحافظي على جسدك كاملا هو أمر ديني تماما كالصلاة والصيام إن شئتِ فعلتيه وإن شئتِ تركتيه إما أن تحافظي على جسدك كي

obeikan.com

يتزوجك فلان خصيصا فهذه مهاترات لأنه قد يتزوج التي أحبها ومنحته كل شيء إذا سنحت الظروف ويتركك تتخبطين في غياهب مبادئك بل في دينك نفسه! فتجدين نفسك لم تلبثي أن تتخطي مشكلة عاطفية لتقعي في أخرى إلهية أشد وأنكى!

أحدث شيء بينك وبين أحمد؟

******

"Je ne suis pas mort"

كابوس؟ حلم؟ رؤية صادقة؟ هلاوس كالتي انتابته بضعه أيام بعد وفاة لورا؟

شيء ما لا يدري أحمد كنه ولا يريد أن يدري !

ليس من الذين يصدقون الأحلام لكن هذا الشيء ظل يراود مخيلته ويتكرر أثناء نومه وهناك ألف احتمال واحتمال...

البعض يشتد بينهم التواصل حتى يصلوا إلى مرحلة أن يتفهموا بعضهم من نظرات العيون أما هو ولورا فقد وصلا إلى درجة أن يتواصلا بأرواحهما من على بعد مسافات! كانت تقول إنهما مثال حي لظاهرة غير طبيعية أربكت العلماء ومازالت..

ظاهرة أسماها العلم "Telepathy" وتعني التخاطر وهو عبارة عن

obeikan.com

اتصال عقلي يتم بين شخصين بصورة غير مادية يمكن من خلاله إرسال رسالة ونقل معلومة مهما بعدت المسافة بينهما...

التخاطر يعني معرفة أى شخص منهما بما يدور في رأس الآخر دون أن يتحدثا ويمكن تشبيهها برسائل "البلوتوث" في أجهزة الهواتف المحمولة حيث تكون الأجهزة على نفس الموجة ويمكن للجهاز الأول معرفة المعلومات في الجهاز الثاني والتقاطها ...

وهو تفسير منطقي لاثنين تفصلهما مسافات شاسعة ويحدث أن يصيب واحد منهما ضيق وحزن إذا أصاب الآخر مكروه!

أو يحلم بما حدث لشخص آخر بالضبط فيقوم من نومه وهو يعرف الحقيقة مسبقا قبل إخباره بها!

أو أن يخطر ببالك صديق لم تفكر فيه منذ فترة طويلة ولم تقابله فما تمر ساعات على خاطرتك إلا وتقابله صدفة أو تجده يتصل بك!

وهناك مقولة شائعة بين عامة الناس حينما يحدث التخاطر بينهم عن غير عمد يرددون بعفوية "ياريتنا افتكرنا النبي"!

وكأن هناك اتصال نفسي أو كهربائي من نوع ما بين أدمغتهم تمامًا مثل عمل أجهزة الاستقبال والارسال...

فتح أحمد "اللاب" وأخذ يقلب في مواقع الإنترنت ومنتدياته يبحث في الأسس العلمية والتاريخية لتلك الظاهرة، عله يتأكد أن تلك الأفكار حقيقية

obeikan.com

معترف بها وقائمة بالفعل ولا يتوهمها.. أو يجد معلومة ذات قيمة تحل له هذا اللغز..

قرأ مايلي:

الأدلة التاريخية على ظاهرة التخاطر:

كان لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) جيش في حالة حرب مع الفرس عام ٦٤٥ مـ / ٢٣ هـ على رأس الجيش قائد يسمى "سارية" وفي نفس يوم القتال وقف عمر ليخطب خطبة الجمعة في المسجد، ولكنه قطع خطبته وصرخ بأعلى صوته: "يا سارية الجبل، الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم"

وبعد انتهاء الخطبة تقدم الناس نحو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسألوه عن هذا الكلام فقال: "والله ما أتيت له بالا، شئ أتى على لساني"!!!

وعندما قدم سارية على عمر في المدينة (رضي الله عنهما) قال: "يا أمير المؤمنين، تكاثر العدو على جنود المسلمين وأصبحنا في خطر عظيم، فسمعت صوتًا ينادي: "يا سارية الجبل، الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم".

عندئذ التجأت بأصحابي إلى سفح جبل واتخذت ذروته درءًا لنا يحمي مؤخرة الجيش، وواجهنا الفرس من جهة واحدة، فما كانت إلا ساعة حتى فتح الله علينا وانتصرنا عليهم".

وبعد قراءة عدة مواقف تخاطرية عجيبة أدرك أحمد أن الموضوع له أساس وحدث بالفعل كثيرا!! لكنه حدث لاثنين علي قيد الحياة فماذا لو كان أحد منهما ميت؟ استمر أحمد في بحثه محاولا أن يجد وصفا علميا دقيقا لهذا الأمر...

******

- لالا.. أنا أسأل فقط لا تقلقي.. وماذا عن التي دفعها حبها الشديد إلى الوقوع في أخطاء صغيرة مثلا هل يمكن أن يعتبرها حبيبها بلا أخلاق أو دين؟

أجابتها ملك بأنه لا يمكن اختبار الأخلاق بإمساك اليد والأحضان والقبلات.. إن الذي يتحسس هذه ويقبِّل تلك.. التي ترفض يتأكد من أخلاقها وتدينها والتي تتجاوب تخرج من حساباته للأبد هو شخص بلا قلب بلا أخلاق بلا ملة.. فقط شيطان شهوته يملي عليه أفعالا وهو ينفذ منصاعا متوهما أنه ينتقي- بتلك الطريقة - الزوجة الصالحة!

هو يربط الدين بأفعاله القذرة كي يوأد ضميره في المهد إذا بدأ في النهنهة، شيطانه يحتنكه ويعميه إلى أن يكافئ بامرأة رفضت ونجحت في اختباره العظيم عدة مرات بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الرفيع! حينها يسعد في بلاهة لمجرد ظنه أنه الأول البادئ الموجد من عدم!

من حظه التعس إنه بالرغم من ذكائه وخبرته في معرفة تلك الأمور بالذات إلا أن الذكي يوجد من هو أذكى منه دائما.

ثم سألتها نانسي:

-وإذا حدث وأخطأت المرأة هل يجب أن تخبر زوجها المستقبلي بكل شيء؟

أجابتها بأنه لا يمكن لأي رجل أن يعرف ماذا فعلت امرأته قبله إلا إذا صرَّحت هي وأجزمت بصحة ما عرفه...في زمن كهذا كل شيء وارد.. صور مركبة، صوت مركب، رسائل "مفبركة"، أي شخص يستطيع أن يتهم أي شخص بأي شيء وبالدليل أيضا!

هو يعرف ما تريد هي أن يعلمه ولا سبيل له إلا ذاك...

هناك نساء يتباهين بكم المعجبين والمتقدمين والعاشقين...

هناك نساء لا يخجلن من الحب وما فرضه عليهن هذا الحب يعلنوها بكل صراحة (أنا أحببت) لكن النصيب أو القدر أو أي شيء لا علينا من الأسماء والمصير واحد...

هناك من ترفض التدخل في ماضيها وتجبره على ذلك بطريقتها الخاصة...

هناك من تعتبر الحب ذنبا تردعها قولة "إلا المجاهرين"...

هناك امرأة لا ترتاح ولا يهدأ لها بال إلا إذا صارحته بكل شيء وتراءت أمامه ككتاب مفتوحة أوراقه على مصراعيها...كل شيخ وله طريقة...

سألتها نانسي:

- أيهما الأصح؟

obeikan.com

- لا يوجد قاعدة واحدة تصلح لكل علاقة... أخبرك بالأدهى؟

هناك رجال تثيرهم تفاصيل علاقات زوجاتهم مع آخرين! هذا على اعتبار إنهم رجال أصلا! أضحكك؟

مرة صديقتي مريم حكت لي عن غيرة زوجها الشديدة لدرجة أنها تتحاشى أن تذكر اسم رجل تعرفه أمامه حتى ولو كان أخوها!

تعرفين مريم طبعا هو أول حب في حياتها فعلا ليست بحاجة إلى الكذب...

ذات مرة اختال زهوا أمامي بسذاجتها وبإنه "رباها على إيده" اغتاظت مريم شعرت بأنه يحط من قدر عقلها فتضاحكت بغنج ودلال وتمالت على أذني تهمس بصوت مسموع: "لم يعرف حكاية رامي الذي كان معي في ثالثة إبتدائي"، انفجرنا من الضحك ساعتها عمدا واغتاظ هو!

- حتى مريم لها ماضي؟! هههههه صدق نزار حينما قال إن الرجال جميعهم أطفال.. أول تعميم أؤمن به بلا استثناء..

- أطفال فعلا ولا قاعدة واحدة تسير عليهم جميعا..وإن كان لابد لنا أن نسن قواعد فالقاعدة الوحيدة هي أن الله لا ينسى لكنه يغفر أما البشر قد تنسى لكنها أبدا لا تغفر!!

أخبري الله فقط بذنوبك إن شئتِ أن تُغفَر... واحكي للبشر ما بدا لك من ذنوب لا تشائين أن تُغفَر!!

obeikan.com

- ملك أنتِ تغيرتِ جدا من أين لكِ بهذا الكلام الكبير؟

- إن أول حكمة ينطقها الإنسان هي أول طعنة تلقاها..

بالرغم من كل ما سببه حمدي لي إلا أنني سأظل مدينة له بشيءلا يقدر!

******

تجلس نانسي قبالة حاسوبها تتصفح الأخبار اليومية عبر الإنترنت بلا تركيز...

كل الأحداث متشابهة مكررة حد الاكتئاب.. لا جديد يثير أي انتباه..

(شاهد قبل الحذف الممثلة ذات الرداء الفاضح تتسبب في استياء الجمهور...)

(الإرهاب الآثم يفجر عبوتين ناسفتين بالقرب من وزارة الدفاع والشرطة تسيطر على الحادث)

(وفاة أحد رجال الجيش البواسل برصاص الجماعة الإرهابية)

وفجأة...

يقرع قلبها كالطبل وتتمدد حدقة عينيها حد التمزق لتتأكد من الذي تراه!! تكبر الصورة لأقصى درجة حتى تبلغ حق اليقين...

حمدي - كأبشع ما يكون المرء - مكبلا بالأصفاد يعنفه رجل بالزي العسكري مصوَّر ضمن المحكومين عليهم بالإعدام حكمًا عسكريًّا كان على

obeikan.com

الجيش حتمًا مقضيًّا!! تحتها بيان طويل تجوبه بعينيها لتستقر عند اسمه بالكامل!! ينعقد لسانها من هول المنظر..

إنه حمدي....

تسترخي على مقعدها مشدوهة أسنانها تصطك وقدماها ترتعشان، تتمالك نفسها ثم توقظ ملك من نومها بلطف:

- ملك.. ملك.. قومي أرجوكِ

- لا أتركيني وشأني

- ملك.. حمدي قتل أحد رجال الجيش ومحكوم عليه بالإعدام!

تنتفض ملك وهي تنظر لها محدقة تغالب نعاسها:

- كيف عرفتِ؟ من قال هذا؟

******

الدراسات العلمية الحديثة أثبتت وجود أنشطة عديدة لجسم الإنسان منها الأثر الكهرومغناطيسي الناتج عن النشاط الكهربائي للدماغ... فخلايا المخ تقوم بمهامها عن طريق إرسال إشارات كهربية إلى جميع أجزاء الجسم من خلال الأعصاب وهذا النشاط الكهربائي يولد طاقة كهرومغناطيسية يمكن رصدها بأجهزة خاصة تسجل نفس القدر من الطاقة عند إعادة هذه العمليات بعينها.

obeikan.com

والتخاطر هو استقبال الطاقة الصادرة من عقل أي شخص وتحليلها في عقل المستقبِل بحيث يدرك أفكار الآخرين أي أنه يتلقي المجال الكهرومغناطيسي الصادر من الآخرين.. يفك شفرته ويعرف ما يدور في عقولهم عن طريقه... وهذا جانب من الظاهرة.

أما الجانب الآخر فهو إرسال خواطره وإدخالها في عقول الآخرين... والحقيقة أن هناك حالات كثيرة عن حوادث لا يرقى إليها الشك....

ففي إحدى تجارب قامت في الاتحاد السوفييتي حول هذه الظاهرة أمكن تسجيل دقة في التخاطر بين شخصين بلغ البعد بينهما أكثر من ألف كيلومتر!

حيث أُعطي الشخص الأول ورقةً وقلما فرسم وكتب أشياء بلا معنى، وفوجئ الباحثون بأن الشخص التاني رسم وكتب نفس الأشياء بالضبط!

وأخيرًا تم تسجيل نتيجة توصل إليها علماء الباراسيكولوجي ومفادها أن القدرة على التخاطر تزداد بزيادة القمر.. تبلغ أقصاها بحالة البدر وتسجل أدنى مقياس لها بحال المحاق.

فتح أحمد نافذة حجرته فإذا بالقمر بدرًا يبتسم له وكأن أشعته البيضاء النقية تفرد ذراعيها لتلوح له من بعيد!! اصطفق قلبه مدهوشًا، ثم جلس قبالة اللاب، وأكمل قراءة...

الله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئا عبثا، حيث يقول في كتابه الكريم:

(وفي أنفسكم أفلا تبصرون)

عندما يتوقف الإنسان عن استخدام عضو من أعضائه أو موهبة ما فإنه يفقدها بمرور الوقت، مثلا القدرة على الرسم بعد توقف سنين طويلة، والقدرة على التذكر بعد اكتشاف الكتابة والاعتماد عليها في المراجعة والتذكر، وكذلك القدرة على الحساب بعد اختراع الآلة الحاسبة...

وهكذا أهمل الإنسان الغدة الصنوبرية التي توجد في الفص الأمامي من الدماغ، وهي المسؤولة عن عملية إرسال الرسائل المراد توصيلها للطرف الآخر بالتخاطر.

******

توقفت نانسي عن إرسال الرسائل لأحمد.. شعرت أن قلبها لو خانها وتفوهت بحرف زائد له ستفقد نفسها ولن تستطيع استرجاعها مرة أخرى مهما حدث..

احتضنت نفسها بتراخي وقد جفت الدموع بصمت مريب..

تتذكر ختام الحديث الأخير الذي يرن في أذنيها كتعويذة تحضر شياطين الحزن وتخرج الاكتئاب من أشرس مكامنه..

-يجب أن أرحل.. كفى.. أشعر أننا نقف سويا في محطة واحدة.. محطة الخوف.. لكنني أسبقك بكثيييير... أشير إليكِ بتوسل.. أرجوكِ.. قفي.

اعكسي إتجاهك. هذه المحطة لا يخرج منها المرء سليم أبدا!!

- لِمَ يا أحمد كل هذا؟ أنت تحبني وأنا أعشق ترابك لماذا تمنعنا أن نعيش حياتنا لحبنا؟

- لأنه لا يوجد قطارين لهما نفس القضيب تجمعهما محطة واحدة.

******

يقشعر بدن ملك من هول المنظر وتعيد قراءة البيان أكثر من مرة ثم تكبر الصورة وتصغرها وهي تسدد النظرات لها بتلذذ وانتشاء.. ثم تصيح ضاحكة:

- والله و عملتيها يا "ملوكة" يابنت اللذينَ!

- ماذا فعلتِ؟ ما دخلك بهذه المصيبة أصلا؟؟

- تعالي أحكي لك يا "نانوسة" لكن بعد أن تأتي معي لأرقى "كافيه" في إسكندرية نشرب أحلى "هوت شوكليت" نخب حمدي أبو السعود!!

******

الغدة الصنوبرية!! ما هي؟

بحث عن هذا المصطلح في صفحة أخرى...

المخ خلال العملية الفكرية يطلق إشعاعات أو ذبذبات هي في الحقيقة

obeikan.com

عبارة عن موجات فكرية مصدرها غدة موجودة في الدماغ ما بين العينين تدعى (الغدة الصنوبرية) أو كما سماها الفيلسوف الرياضي الفرنسي ديكارت (مكمن الروح) وسماها اليونانيون القدامى (العين الثالثة...)

ولها نشاطات بيولوجية كالتحكم بالجوع والعطش والنوم وإفراز هرمون "الميلاتونين"، وهو هرمون يساعد على ضبط عمل جسم الإنسان ومسئول عن عمليات النضج الجنسي في الكائن الحي..

ولها نشاطات روحية ووظائف كثيرة غير مفسرة علميًا حتى الآن...

وهذه الغدة هي بمثابة جهاز اتصال لاسلكي مرسل ومستقبل للموجات الفكرية ونستطيع القول مجازًا أن العقل البشري كالهاتف النقال وكثير منا مر بتجارب مشابهة حيث تخرج نفس الكلمة من فم شخصين بنفس اللحظة ويتفاجآن بأنهما يفكران بنفس الموضوع كما تم ملاحظة تطور ظاهرة التخاطر بين التوائم الحقيقية.

وهذا النوع من التخاطر يعد أسهل نوع لأنك تعرف الشخص ويمكنك أن ترى شكله الخارجي بذهنك.

الغدة الصنوبرية موجودة عند كل إنسان. ولكنها تضمر نظرًا لقلة استعمالها..

كل ما عليك هو نفض الغبار عنها وإن فعلت فسترى العجائب....

obeikan.com

فقط يلزمك عملية استرخاء جيدة وصفاء عقلي وإيمان بالفكرة..

كن وحدك في الغرفة.. ابعد تماما عن أي مصدر للتشوش والإزعاج.

اجعل الأنوار خافتة ويفضل أن تكون زرقاء اللون أو شمعة...

اجلس في وضعية مريحة بحيث يكون الظهر مستقيمًا..

اغمض عينيك..

استرخي وتنفس خمس مرات شهيق عميق من الأنف وزفير اخرجه ببطء على ثلاثة مرات من الفم. هذه الطريقة تساعد على التركيز، إذا أتت إليك أفكار عند تركيزك على التنفس فلا بأس أكمل. هذه الأفكار غيوم عابرة لا تعطيها أكبر من حجمها.

ضع يدك اليمنى على جبينك واليسرى على مؤخرة رأسك وركز انتباهك على العين الثالثة وسط الجبين.

استشعر هالتك المحيطة بك وتخيل الشخص الذي تريد إرسال الرسالة إليه يقترب منك أكثر فأكثر.

الآن

استحضر صورة الشخص في ذهنك وناديه باسمه في ذهنك. ركز على تفاصيل الصورة. وخصوصا ملامح الوجه..

الآن

تكون قد انطلقت من الغدة الصنوبرية عن طريق الهالة موجات فكرية أيقظت اللاشعور في الشخص المُستقبل.

دعه يخرج من هالته ويدخل بهالتك المحيطة بك حتى تصبحون هالة واحدة.

امسك بيده وابدأ ببث رسالتك.

قل له ما تريد لكن يجب أن تكون رسالتك قصيرة وواضحة، مثلاً..

اتصل بي الآن.

تعال إلي.

اعدل عن رأيك في كذا.

وافق على طلبي الفلاني.

ماذا دهاك؟

كن بجانبي.

ينصح أن تكون مدة إرسال الرسالة لا تقل عن ثلث ساعة.

انتظر منه الإجابة، قد تكون إجابته في نفس اللحظة، في وقت آخر، أو تأتيك وأنت نائم في صورة حلم، ثم أخبره أنك سوف ترسل إليه رسالة أخرى وحدد الوقت الذي سوف تقوم بإرسال الرسالة القادمة فيه.

دعه يخرج من هالتك ويدخل في هالته.

obeikan.com

انظر إليه يبتعد إلى أن يختفي.

تنفس مرة واحدة بعمق.

افتح عينيك.

اتبع التعليمات بدقة وبنفس الترتيب..

لا تمل إذا لم تتلقَ الإشارات في بادئ الأمر..

مرحبا بك في عالم الأرواح....

فكر أحمد فيما قرأه وأخذ في تفنيده.. ثم توصل بفكره إلى أن التخاطر يمكن أيضا أن يحدث بين الأحياء والأموات! لأنه ظاهرة روحية طاقية لا علاقة لها بالمخ والحواس الخمسة العادية، لأن الأفكار ليست نتاج المخ وإنما هي نتاج العقل.

المخ هو الأداة التعبيرية المادية علي ملكة العقل الغيبية.. مثل الكهرباء التي لاتُرى (غيبية) لكن يستدل عليها بأثارها المادية، أو مثل الكمبيوتر فهو يحتاج إلى إنسان كي يبرمجه كذلك المخ يحتاج إلى قوة أعظم تبرمجه وهي العقل، كما أن الأفكار عبارة عن موجات كهروماغنطيسية أي طاقة. والروح والعقل ماهما إلا طاقة، أما المخ فهو بلايين الخلايا العصبية المادية الملموسة..

أو ربما يكون التخاطر ظاهرة مزدوجة ذات طبيعتين (روحية مادية) والغدة

obeikan.com

الصنوبرية هي الجزء المادي في المخ المسئول عن الاتصال بالأرواح!! ثم فكر في تنفيذ تلك التجربة المثيرة وما إن خطر هذا الخاطر في باله حتى أحس برائحة لورا كأنها طيف من نسيم مر بجانب أنفه ثم اختفى!

نظر إلى صورتها الموضوعة على المكتب فوجدها تبرق كنجمة كبيرة تضئ ظلام الحجرة! عندها ارتعد وأخذ قلبه يقرع بين ضلوعه بشدة.. قام ففتح النور وأخذ يبحث في أركان الغرفة عنها!!

******

يأتي النادل في يده كأسان من مشروب الشيكولاتة الساخن تبتسم له ملك ويتبادلان بعض المزاح الخفيف ثم يستأذنهما بالانصراف...

نانسي بصوت عصبي خافت لكنه واضح جاد:

- ما الأمر يا ملك؟ أجيبي أرجوكِ سأجن!

- أبدا.. إعدام عسكري لمن أراد بأختك سوء!!

- لا وقت للهزل أنا تعبت.

"تليفون" صغير لمباحث مكافحة الإرهاب....

مواطنة مصرية تحب بلدها وجيشها.. تتمنى أن نقضي على الإرهاب لنعيش في أمن وسلام...

يقطن في شقة كذا.. عنوان كذا.. فلان الفلاني... حسابه على الفيس

obeikan.com

بوك هو حمدي أبو السعود.. حساب يعج بعبارات الدم والتحريض والسب والقذف وتهييج النفوس ضد الجيش المصري..

اشتراك في جماعة محظورة قانونيا تشكل خطرا على الأمن القومي مصنفة ضمن قائمة الجماعات الإرهابية...

قاتل لأحد أفراد الجيش البواسل...

لحظه العثر تصوره يد الأقدار يحوم في مسرح الجريمة قبلها بأيام...

نفس اللحية القصيرة التي تخفي شرور العالم كله بداخلها..

نفس الطول والعرض والشعر والهيئة و...

موظفي شركته شهدوا جميعهم ضده وتوالت الاتصالات تؤكد ما حدث...

القدر حينما يتولى مساعدتك يصير العالم أيسر وأجمل!

وما قتله حمدي ولكن شبه لهم!!

تقول ملك:

- الله أعلم ربما قتله فعلا لكن من معاشرتي إياه أستطيع أن أجزم بأنه ما مس شعرة منه حتى، لكن كان يجب أن أزيد الطين بلة...

- وضميرك؟ أنا أعلم تماما أنه يستحق أكثر من ذلك لكنها جريمة قتل يا ملك،.

obeikan.com

شهادة زور سيموت بسببها إنسان! أتتخيلين بشاعة الموقف؟

- حمدي إنسان؟ هاهاهاهاه أنا أقدم خيرا للبشرية.. كم شخص تأذى بسببه؟ كم مصلحة توقفت؟ كم كارثة ألحقها بغيره وهو بريء منها؟

- وهل أنتِ المسئولة عن عقابه؟ له رب موكل به فـ...

- لم لا؟ ربما فعلا أنا المسئولة!! ألا يمكن أن يكون الله وضعني في طريقه كي أكون سببا رئيسيا في نهاية جرائمه وخلاص العالم منه؟ هذا عمل بطولي يا بنتي.

- أنتِ مجنونة؟!! القتل هذه الأيام عمل بطولي؟ أول جريمة على الأرض أصبحت بقدرة قادر عمل بطولي!! أتعرفين أن معظم مشاكلنا حاليًا تحولت إلى مشاكل إلهية؟

- بمعنى؟

- عندما يكون لديكِ مشكلة نفسية تذهبين لطبيب نفسي وعندما يكون لديكِ مشكلة عضوية تذهبين لطبيب عضوي أما عندما يكون لديكِ مشكلة مع الله وأوامره فلمن ستلجأين؟ قولي لي؟

- أنا أنظر للموضوع من رؤية مختلفة، أنا أنقذت العالم من وباء فتاك، من فيروس قاتل مدمر لكل ما حوله، ماذا تعرفين أنتِ عن حمدي وأمثاله؟ كبيرك تكتبين منشورات على "الفيس" عن الحب والرومانسية والفراق وما شابه، أنا وحدي من تجرعت الكأس حتى امتلئت..

حمدي قنبلة نووية موقوتة.. إذا وجدتِ قنبلة في الشارع تعرفين كيف تبطلين عملها هل ستتركينها إلى أن تقضي على العالم؟ أم ستوقفين عملها على الفور وتقفين ناصبة هامتك بأنك أنقذتِ البشرية من الموت المحقق؟

المسألة كلها اختلاف في تقدير الأمور.. أنتِ ترين أنه شخص مؤذ فحسب أنا أرى أن هو ومن على شاكلته يشكلون خطرا على استقرار الكوكب ككل..

فهل من العدل أن يعيش حمدي ويموت الكوكب؟!

- أنتِ مجنونة فعلا!! يخرب بيتك!!

تغمغم نانسي بكلمات لا تسمعها ملك على وجه الدقة لكنها تنفجر بالضحكات الهستيرية وهي تحتسي المشروب صائحة: "نخب حمدي أبو السعود" ثم تهزج بمقاطع غنائية غير مترابطة....

(اللي ردولنا اعتبارنا وربك كان ليهم معين...

تسلم الأيادي..

تسلم ياجيش بلادي).

******

تكتب نانسي على صفحتها عبارة قصيرة تنظر لها مرات ومرات ثم تضغط على زر النشر....

مختلفون.. أصحاب المبادئ حين يعشقون.

obeikan.com

#مذكرات___امرأة___أوفر

ثم أردفت في نفسها:

وحين ينتقمون أيضا!!!!

******

يتحدث أحمد إلى نفسه وهو يروح ويغدو في غرفته:

" والد لورا لا يحبني بالرغم من أنه لم يرني إلا في وفاة ابنته! هذا الرجل الريفي البسيط الذي يصدق ما يقال له أولا! ولا يصدق الحقيقة لمجرد أنها جاءت متأخرة!

صورة ذهنية سيئة عن المسلمين والعرب بشكل عام لا ألومه عليها كثيرًا؛ لأني ساهمت فيها بشكل ما عندما انفردت بـ لورا عن العالم كله ولم أتواصل مع عائلتها طيلة حياتي معها...

منذ أن جئت إلى الإسكندرية وأنا غيرت رقم هاتفي و"إيميلي" وقطعت كل صلة لي بالماضي... هل لورا تبحث عني الآن ولا تجدني فتتصل بي روحيا؟؟

لم لا؟ أنا وهي وصلنا إلى درجة معينة من التواصل الروحي لا يستطيع أحد فهمها مهما بلغ من الذكاء والصفاء ولا أستطيع أنا شرحها مهما بلغت من البلاغة والبيان! أم أنها ماتت فعليا وروحها تأبى مغادرتي؟ لقد قرأت ذات مرة أن هناك أرواح بعد الموت تظل قريبة من المجال المغناطيسي للأرض لرغبتها في العودة للحياة مرة أخرى وتظهر لأحبائها في الأحلام باستمرار

obeikan.com

لرغبتها في التواصل المستحيل.

ربما كذب عليَّ في نبأ وفاتها!! لكن هي؟؟ كيف وافقته؟!

ومن قال إنها وافقته؟ ربما دخلت في غيبوبة كالتي دخلتها بضعة أسابيع قبل أن ينبئني والدها بوفاتها.. هل هي في غيبوبة ووالدها ادعى كذبًا وفاتها بسبب كرهه لي؟؟؟

لكن الدمية تشبه لورا قليلاً.. أتخيلها قبل نومي كل يوم، ولم تفلح محاولات استبدالها بوجه نانسي. ليتني أكف عن تلك العادة المريحة والموجعة في وقت واحد..

هل هي ترهات بسبب هذه الدمية؟".

يشعر أحمد بشيء من.... التيه.. المس... النبوة..

يرن هاتفه، يلمح صورة نانسي فيضغط على زر صامت.....

نانسي.. آخر شخص يجدر به أن يعرف ما يجول بخاطره.. أصبحت تمثل المدرسة، الواجب، المجاملات الزائدة في مناسبة رتيبة!

عصام... ذهب ولم يعد

يسيطر عليه هذا الوسواس بشكل مروع..إلى من يلجأ؟

أصعب شيء في العلاقات أن يكون لديك مشاكل - تفتك بروحك وسلامك - تكون على استعداد أن تخبر بها كوكب الأرض بكل كائناته إلا شريكك

obeikan.com

الذي تركن إليه! ويتكرر الحلم أو الكابوس أو الـ....

******

(بقول لسنيني فوتي بُعده يعني موتي

لو سكّت صوتي قلبي بينناديه..

فاكرة كل همسة حاسة بكل لمسة

فكرة أني أنسى بتفكرني بيه..)

عادت ألحان الهزيمة تقطن كل ركن في غرفتها.. تمر الليالي على قلب نانسي... مقاطعة هاتفية من أحمد كأنه لم يكن... كبرياؤها الأشم يمنعها من الاتصال ثانية.. تشعر بمثاليات تظن كثيرا أنها لا تكمن إلا في وجودها فقط وأن العالم بأسره لا يكترث أو لا يعترف بها من الأساس.. تشعر أن كل ليلة تمر بصعوبة. تبتلع الطعام بصعوبة. يتذمرون من سرعة الوقت وهي تشعر أنه جاثم فوق صدرها! إن كان يحبها حقًّا سيشعر بها، لن يتركها تعاني هذا الألم وحدها، سيشتاق على الأقل. هكذا ينطق عقلها وهكذا تتناثر قطعا تحت قطار الليل..

إذا كان ما فقدته فيه هو الحبيب فأين دور الأب الذي احترفه طوال الأشهر السابقة؟؟ كيف استطاع ألا يطمئن عليها.. يعرف مسار يومها.. يهدهد روحها المثقلة؟ أين الصديق أيضا؟ أين المسامرة؟ أين الضحك؟ أين كل شيء؟ أين أحمد؟؟

obeikan.com

قرأت بالصدفة كتابا يناقش موضوع الهلاوس البصرية والسمعية وجدت فيه أن من ضمن أسبابها الصدمات العنيفة التي قد تكون أكبر من قدرة العقل وتحمله فخطر لها هذا الخاطر المضحك المبكي...

أيكون أحمد هذيانا؟؟

******

"لابد ان أفكر خارج الصندوق... بالرغم من احتراق روحي بنيران المغامرات والجنون إلا أنني ما ندمت على شيء في حياتي! من أين لي بتلك النمطية التي انتابتني فجأة؟ هل عدتني نانسي بعاديتها المفرطة؟ لا أنكر أنها حاولت كثيرا أن تجاري جنوني لكنه الطبع دوما يغلب أي تطبع. وهي معذورة...

لابد أن أفكر خارج الصندوق؟ ماذا أعني؟ أن أصدق ما يمليه عليَّ جنوني وأسافر فرنسا أتيه فيها.. أحمد مجنون لورا؟ إذن ما شخصه عصام كان صحيحا؟! بالرغم من أني أنكرته بشدة بيني وبين نفسي! أم أن عصام وضع بي مرض لم يكن في من قبل؟

الأمراض النفسية ترقد على حرف "ومبتصدق"! أم أنني أضحيت كالمرأة المتطايرة التي تبلغها جارتها أنها أصيبت بـ "فلان" فلا تكاد تخلفها حتى تشعر بأعراض " فلان " تظهر عليها بقوة!! ينظر بعمق للصندوق الذي يحوي الدمية ويتمتم بمرارة:

لورا الحقيقية في صندوق ولورا الدمية في صندوق... وأنا لابد أن أفكر بداخل الصندوق هذه المرة".

******

تكتب نانسي ما يختلج في قلبها من مشاعر متنافرة ومتناقضة تبتسم تارة وتعبس تارة أخرى تلاحظها ملك وتحفل بها ثم فاجأتها قائلة:

- هل الكتابة تريح؟؟ أم أنها وجع آخر؟؟

توقفت نانسي لسؤال ملك الذي أدهشها فرط عمقه بالرغم من بساطته الشديدة، صمتت رويدا تفكر ثم قالت بصوت الذي أفنته خبرات سنين:

- الفن هو الشيء الوحيد القادر على أن يجعلك تتعاطف مع ما يشق عليك تقبله...

- يا مزاجك!

ضحكت بفخر واعتزاز وتمتمت بمرارة:

- الحمد لله....

- ألا تسأمين؟؟ لماذا تعشقيه؟؟

- لأنهم جميعا يذهبون بينما هو وحده الذي يبقى.

******

obeikan.com

في أواخر ديسمبر ينتهي كل شيء.

"على ما يبدو أنه الفراق...

هو.. أعرف وقع خطواته الثقيلة وهو يدهس روحي مهشما كل طيف من أمل راق لي...

ضيف ثقيل تأبى مقابلته لكن دماثة خلقك تحتم عليك التأزر والخروج لمصافحته بكل حرارة!!

ألفة غريبة نشأت فيما بيننا... ألفة تغثو لها النفس السوية...

لكن الذي أدمن الفراق لا يمكن مقارنته بأي حال بالأسوياء.....

راحة جزئية تنتابني كلما تذكرت أنني في آخر مقابلة بيننا قد أنهكت نفسي حد الإعياء!

كان هذا ما أود فعله بالضبط... لماذا عليَّ التخلي في كل مرة عن أحلامي بالنذر اليسير؟؟

كنت بحاجة لدهس كرامتي بحذائي.. لامتطاء كبريائي كي أطرحه أرضا...

كانت هذه الأفعال كأنما تقوم بها واحدة غيري لكني قانعة بها أتم القناعة...

تركتني أتأذي بكل حرف خارج منه حتى آخر ما يمكن أن تسعه نفس أبية كنفسي...

أعلم تماما لماذا فعلت هذا بمنتهى الدقة...

obeikan.com

فعلته كي أتذكر جيدا أنه يجب التخلي عن أحلامي للأبد...

فعلته حتى إذا ما روادني حلمي في مقابلة الحب الحقيقي الذي يكلل بالزواج أذكره بنفسي المشوهة وما فعله الحب بها حتى ينقشع الحلم في نفس اللحظة ويوأد حيث ولد....

تماما كالأم التي تحدث علامة بجسد صغيرها وهي توسعه ضربا كي تنأى به عن مجرد التفكير في مصدر الأذى...

كان لزاما عليَّ أن أترك عاهة مستديمة بروحي يذكرني ملمسها بأن مثل تلك الأفكار لا يجدر بها أن تخطر على بالي حتى....

لم أكن تعيسة بقدر ما كنت متعبة كالذي خارت قواه سنينا في عمل لا ثمرة منه ولا طائل...

على الرغم من صمتي أمامه أولا ثم محاولة سد كل ذريعة يضعها أمامنا - بلا جدوى طبعا - كنت رابطة الجأش حتى كدت أن أحسد نفسي فلم أندفع كعادتي بكلمات قاسية..

ربما لأنني تيقنت حينها إنها النهاية الحاسمة وإنه لا يمكن أبدا أن تكون نهايتنا على هذا النحو البالغ في السوء....

عندما انتهى من حديثه أو من قذائفه إن شئنا الدقة..

كانت عيناي مبهورتين كأنما تعرضتا لضوء شديد إثر ظلمة حالكة السواد..

لم أنبس ببنت شفة.. كان هو الآخر قد أنهك من حديثه فما بالي أنا؟

obeikan.com

أخذ معطفه المعلق على المقعد خلفه.. ترك الحساب على المنضدة.. ورحل...

نعم رحل هكذا بمنتهى البساطة.. أكررها لنفسي ثانية... رحل...

كلمة بسيطة لا تتعدى ثلاثة حروف يجب أن أعترف بها تمام الاعتراف وإلا سأفقد عقلي على أحسن حال..أتعرفون ماذا حدث بعدها؟

شعرت أنني جوعى!!

شعور تافه في غير موضعه... طلبت طعاما فاخرا بالمال الذي رفض اقتراضه فيما قبل.. بددت معظمه على الطعام وأخذت في التهامه حتى الشبع!

ثم تركت المكان.. كان يجثم على أنفاسي..وكذلك حجابي يخنقني كأني مربوطة به من عنقي.. أزحته قليلا حتى دخل هواء بارد إلى رقبتي..

من يصدقني إذا قلت إنه كان بداخلي نوبة عارمة من الضحك الهيستيري؟!!!!

اكتفيت منها ببضعة ابتسامات وزعتها على المارة في الطريق وتركتهم حائرين فيما بين أتبتسم لي؟ أم تذكرت شيئا يسرها؟!"

******

"وكنت أدرك جيدا أني أقيم علاقة مع غيمة مسافرة... فلم رتبت عقلي

obeikan.com

على الاستيطان؟؟

وقع في قلبي أني لن أراه مجددا!

وقد حدث.. فلم كنت أتأنق في الخروج دوما بعد الفراق؟؟

هل هي بقايا أمل خبيث في رؤياه صدفة تعزي الروح سرا؟ أم محاولة مستميتة مني أن أقنع نفسي أني بخير وقوية ولن أقع في الاكتئاب بسبب رجل و....الخ

لا أجد تفسيرا دقيقا لكل مافعلته بعدها...

كل أفعالي كنت أدهش لها خلسة مع أنني مدمنة فراق لكنه فراق ليس كالفراق.... جمعت كل تذكار كان بيننا....

إسورة.. قلادة فضية... خاتم المشاعر... كنت أول مرة أتعرف عليه، خاتم يتغير لونه بحسب مزاجك وحالتك النفسية.. يميل إلى الاخضرار إذا كنتَ بحالة نفسية جيدة ويميل إلى الزرقة البراقة إذا كان العكس.. بالرغم من أني أعشق كل هداياه لكن هذا الخاتم بالذات لم أرتديه منذ أن أهداني إياه...

كنت أشعر أنه يراقبني به وكأنه جهاز تنصت على قلبي...

يميل إلى الزرقة دائما وهو ليس بجانبي.. أدركتُ حينها إني أدمنته وانتهى الأمر.

خلعته من إصبعي.. وضعته في علبته وعندما سألني عليه قلت إنه لا

يروقني كثيرا أن أشغل بالي بحتمية شعوري بالسعادة في كل دقيقة.هذا الإحساس في حد ذاته يكأبني ويصبني بنوع من الوسواس القهري.. وقد كنت صادقة."

******

"كنت أعلم إنه طير شريد.. فكنت له سماء بغير سقف كي لا أحده بشيء... تفننت في إقناعه أن نظرته وحدها تكفيني وكنت كاذبة أيما كذب.... ما أكفت نظرة عاشقا أبدًا... فقط كان كلي أمل أن يحط هذا العصفور على راحتيَّ طالبا الدفء... أن يريح جناحيه الشقيين في صدري وينام... أن يتخذ من نهدي بيتا.

كان حبي له أولى محاولاتي الجدية في السعي نحو الحياة.. فلم قتلني في عامي الأول؟؟

سرحت بعيدا مع كل هدية وتذكار كان بيننا وأنا أجمع كل الأشياء المادية التي من شأنها أن تذكرني به في صندوق واحد....

قطع أفكاري دوي من بعيد.. وقع زجاج يتهشم.. صوراخ وألعاب نارية يدوي صوتها بشدة وتقطع ظلمة السماء بتبجح واضح...

كانت ليلة رأس السنة (٢٠١٦)... ظننها حدسي الكاذب في بادئ الأمر أنها يوم القيامة!!

تبسمت في مرارة ثم دخلت الشرفة أتطلع إلى عامي الجديد الذي بدأ بقلب

مكسور كهذا الزجاج المفتت على الرصيف...

كالعادة نهرتني أمي بصوت عال خوفا على، كما أن صوت الألعاب النارية كان كثيرا ما يفزعها..

حينها لم أستطع أن اتمالك نفسي... أجهشت بالبكاء حتى تحولت عيناي إلى صنبور تالف يسقط منه الماء بلا هوادة...

أتعجب كثيرا لأمري... لم أوجل إحساسي بالمواقف؟ لماذا أخزن مشاعري لتظهر في أوقات غير أهل لها؟؟

أهنا تذكرت الدموع؟ وأن عليَّ أن أبكي ولو قليلا؟

سحبتني أمي إلى الداخل وهي تقول:

- ما بكِ يا نانسي؟ أنا خائفة عليكِ.. الألعاب النارية تـ.....

- البرد يقرص على جسدي.. أشعر إني سأحيا شتاء طويلا بلا معطف...

- طوال عمرك تخافين الشتاء.. عندما كنتِ صغيرة.. كنتِ تخالين الرعد هو الغول الذي أخيفك منه عندما تتركين طعامك.

تضحك أمي وتتابع:

- ما إن تسمعيه حتى تجري عليَّ ليلا مذعورة دامعة العينين وتأخذين عليَّ كل الأيمانات ألا أتركك وأنام حتى يذهب الغول إلى بيته وتبقين على ذلك إلى أن تنامي في حضني...

obeikan.com

تمسك رأسي بكلتا يديها مشاكسة:

- شقوت كثيرًا بتلك الفكرة التي زرعتها في رأسك كي تأكلي كل طعامك..

حاولت أن أقتلعها مرارا لكنها ثبتت في رأسك العنيد....

حضنتني وهي تضحك وتربت على ظهري.. فبكيت أكثر...

ها أنا اليوم يا أمي أخفي عنك آلامي وحكاية الغول الحقيقي الذي زرعته أنا في رأسي...لأني على يقين ألا أحد بإمكانه أن ينتشلني مما أنا فيه إلا الله وحده ولأني على يقين أنك ستتألمين لي أكثر مني، وهذا الألم بالذات لا أريد أن يتذوقه أحد فما بالك أنتِ؟

بعدها طلبت من أمي أن تتركني أستريح وأن تغلق الباب وراءها جيدا.

وفي لجة الفوضى العارمة.. ألقيت من الشرفة معظم تذكارنا...

في كل قفزة لتذكار كان شيئا ما كأنه يسَّاقط من جسدي و يودعني للأبد....

كنت قاتمة النفس.. متقلصة الوجه... خشبية الإحساس واللون...

القلادة الفضية يتبعها الخاتم تتبعهما الإسورة ثم بعض الجوابات بخط يده اعتاد أن يكتبها لي قبل اللقاء ويعاهدني ألا افتحها إلا حينما أكون في غرفتي وحدي...

كان يرى أن الرسائل الإلكترونية أضاعت علينا كجيل لذة الخطابات الورقية، وكأنه بفلسفته المقنعة يوطد جزور هواه في أوغال ذاكرتي...

obeikan.com

ألقيت نظرة سريعة عليهم ثم قطعتهم إربا وقفذتهم إلى أعلى في الهواء كطيور بيضاء منمنة.. تتبعتهم بعيني إلى أن اختلطوا بأديم الأرض....

دلفت إلى الداخل ثم تأنقت بمعطف شتوي ثقيل وأخذت آخر ما تبقى منه...

دمية جميلة لكنها لا تصدر صوتا إلا البكاء...

سرت في الطريق على غير هدى.. أبحث عن شيء ما لا أدري كنهه.. إلى أن وجدت طفلة صغيرة شريدة...

كلنا شاردون إلا من أواه الله في رحمته....

وجدتها تنظر للدمية حتى تكاد أن تخلع عيناها عليها ثم تنظر لأمها الشحاذة بجوارها كأنما تعاتبها في صمت بليغ، توقفت عندهما وقلت للطفلة:

- ما اسمك ياجميلة؟

- نور

تقولها وهي لاتزال معلقة عينيها على الدمية...

- عجباكِ؟

تؤمي برأسها بالإيجاب في خجل شديد كأنه عارعليها أن يعجبها شيء في الحياة.

- خذيها، هي لكِ...

obeikan.com

أمسكتْ بها على مضض.. أخذت تتحسسها بيدها كأنما تتأكد أنها لا تحلم..

ثم وضعتها جانبها دون اكتراث وهي تنظر لي بتحد متكلف!!

تعجبت من ردة فعلها.. ابتسمت لها بعدما أعطيت والدتها قليلا من النقود ومضيت في طريقي..

مضيت على بعد خطوات قليلة ثم لا إراديا أدرتُ رأسي إلى الوراء كي ألقي نظرة سريعة على الطفلة فوجدتها تحتضن الدمية بحب وشوق وبشعور أم غريزي....

تعلمت من هذه الطفلة الصغيرة درسا بعمري...

اخفي احتياجك الشره أمام مانحك لا بغرض الكبرياء ولكن كي يصبح عطاءه القادم واجبا عليه لا منحة فيه..

أو أربكه بنظرات كليمة قوية تجعله يتلصص احتياجك إليه فتحيله هو المحتاج في لحظة!"

******

وبعد أن أنهت نانسي كتابتها.. تذكرت سؤال ملك المفاجئ فاستطردت..

"تعجبتُ ملك من خلوص تفانيا للفن.. أنكرت بداخلها أنه قد يوجد في هذا الزمن من هو على أتم الاستعداد أن يضحي بحياته من أجل سطرا خطه.. أو لوحة رسمها.. أو لحنا أكل من روحه ببطء وتلذذ!!

obeikan.com

بالمناسبة..

تحية غير مستساغة لامرأة دفعت أقواتا من روحها وأشياءً كثيرة....

للمكوث أمام رسام يجسد مفاتنها على الورق ثم نتمطي ونتثائب ونحن نقول بمنتهى الرفاهية: الله! هذا إن لم نستخسرها أو نستحرم قولها...

المرأة هي صانعة الفن بكل أشكاله.. ليس انحيازا صدقوني.. إنها الحقيقة الخالصة...

وإن أردت جدلاً أن تلحق نسب بعض الأعمال الإبداعية إلى الرجال فعد على صوابعك ما يأتي:

كم امرأة أضحت ديوانا من الشعر؟

كم امرأة أضحت أوركسترا يتباهون دوما أننا لا نستطيع الإتيان بمثلها ولو كنا بعضنا لبعض ظهيرا؟؟

انظر كم امرأة رصفت طريق رجل حتى إذا ما تمكن منها.. رصفها!

بكت انهارت أسهدت واكتئبت ثم نهضت نفضت يدها وتحاملت على عصى الإرادة و النجاح حتى وقفت مرة أخرى لا أقول بكامل رونقها لكني أقول بكامل قوتها وأكثر.

ما وجدت حتى الآن رجلا من الذين يدعون القوامة والقوة فعل ذلك كما تفعله المرأة..

obeikan.com

الرجال أجبن مما قد يتصور عقلك...

يتضور كل منهم جوعا نحو الحب حتى إذا جاءه.. يفلته أو يتحاشاه... أو يلتهم منه فتاتا ثم يروح ويغدو كالقط المذعور من كل عيون الناس...

يبحث الرجل عن الجنس في كل لحظة ثم يلقي التهمة بريئا على كل امرأة تقابله مع أنه لو مكث في غابة وحيدا لتذكر المرأة واشتهاها بلا أية مبررات... ولو تغافل الأمر و نام لاستيقظ مثارا على طيف منها -لا وجود له- بلا أية مبررات أيضا!!

يتضور كل منهم إلى فض الصراعات كلها... بينما جبن دخيلتهم يدفعهم إليها دفعا!! نعم هم أجبن من أن يعترفوا بأنهم لا يريدون صراعا!! يوهمون أنفسهم أنهم أقوى من التحديات والظروف وأنهم ضحكوا على الدنيا باجتياز بعض الصراعات المثيرة للشفقة في حين أن الدنيا لا تستطيع أن تلتقط أنفاسها من فرط الضحك عليهم فينساقوا وراءها بكل ما فيهم حتى يتناسوا ولو مؤقتا رغبتهم البليدة في العيش للأبد بين نهدي امرأة يعشقونها ويسخرون!

أنا أتحسر شفقة على رجل يتباهى بجم قوته البدنية أمام امرأة تستطيع بنظرة إغراء واحدة أن تطيح به!! ولك أن تتخيل أضحوكة المنافسة!

كم هم مثيرين للشفقة يا سيدتي لا نحن! حلم المرأة بالزواج والأمومة والبيت الخاص بها يجعلها قادرة على كنس غبار كل رجل أخلف وعده معها،

في وقت قياسي بالنسبة للرجل الذين يتوقف كثيرا ويتوقف كل شيء فيه على أعتاب امرأة أخلفت موعدها معه...

نحن الأقوى دائما وخليقا لهم أن يظلوا واهمين أنهم الأقوى...

أليسوا مقتنعين بأن حواء خُلقت من ضلع آدم؟ إذن فهم الناقصون يا سيدتي لا نحن! خليقا لهم أن يظلوا هكذا دائما..على حافة الحقيقة.. تلفظهم لفظا فينقسموا فريقين:

الأول يتمسح بتلابيبها يدعي أنه يعرفها والثاني يزهو بين أقرانه البلهاء أنه نالها ولم ينل منها إلا ما ناله الذئب من دم يوسف."

******

obeikan.com

الفصل الرابع

بعد ٩ شهور.....

إعلان برنامج شهير على أحد القنوات الفضائية المعروفة..

" حوار ساخن مع الكاتبة الناشئة/ نانسي القاضي حول أسباب إلحادها الصريحة....

انتظرونا "...

- نانسي ملحدة يا مجتمع يا متخلف؟! لماذا ارتضيتِ أن تظهري في قناة "فلولية" تعج بهذا التخلف والجهل؟؟

- أيوجد غيرها أشهر؟؟ هذه قناة الشعب يا ملك وهذا "شو" إعلامي ليس أكثر سيتم استضافتي وأتحدث عن أفكاري الجديدة بحرية وليفهم من يفهم..

- ربنا معاكِ يارب.. أنا فرحانة أنكِ تخطيتِ موضوع أحمد ورجعتِ إلى نفسك...

- ومن قال أنها نفسي؟ قولي لي بالحق، لماذا ادعيت عليه كذبا وعلى

obeikan.com

نفسك أيضا؟

- كيف عرفتِ؟

- ليس مهما جاوبي الأول.

- كنت خائفة عليكِ منه.. لا أريد أن ترتبطي بشخص مثله، وأردت أن أضرب إبليسين بقنبلة واحدة... (تحكي ملك قصتها خلال هذا العام المشئوم)....

- هل ندمتِ على معرفتك به؟

- لا، ولو عاد الزمن مرات عديدة سأحبه أكثر من عددها!!!

******

- ألحقيني يا حكمت، ابني جن!

- لا تقلقي، موضة شباب هذه الأيام الشعر المنكوش والذقن الطويلة والملابس الرثة و..

- لالا ياحكمت الموضوع كبر، ليته اقتصر على شكله الغريب..

أحمد كل يوم يغلق على نفسه باب الحجرة بالمفتاح واسترقيت السمع أكثر من مرة وجدته يتكلم بخفوت أحيانا وبصوت مرتفع أحيانا أخرى.

ينهنه تارة ويتعصب تارة كأنه يكلم أشخاصا معه. أحيانا أسمع وقع أشياء تتكسر وموسيقى غريبة. يغيب بالساعات ولا يأكل إلا قليل القليل وكله

obeikan.com

نباتي!!!

أرجوكِ ياحكمت ساعديني. أتتذكرين عبد الشكور؟ الذي عالج جارتك بعد صراخها في الحمام والحمد لله ربنا شفاها.. أرجوكِ يا حكمت كلميه.. ابني يضيع مني...

تبكي والدة أحمد بقلب منفطر على ابنها.. ترتجف بشدة وتحاول أن تمنع المخاط وهو يسيل من أنفها..

- اهدئي.. اهدئي يا أختي واتركي لي هذا الموضوع وبعون الله شفاؤه على إيد ربنا ثم على إيدي.

******

لا شيئا كاملا، وحده الحب يكمل كل شيء.

- لماذا آمنتَ بي؟ لم تربط مصيرك بامرأة لاكتها كل الألسنة؟

- بل قولي لي أنتِ.. لماذا آمنتِ بي؟؟ ألا يمكن أن أكون فعلت تلك التهمة التي سجنت بسببها وأني خرجت بسبب كثرة أموالي وحنكة أشهر محام في مصر؟ لم تربطي مصيرك برجل لاكته كل الألسنة؟

- "بحبك" ياعصام...

ينحني ليمسك حفنة من التراب بجوار قدمها ثم يتركها تتناثر بين أصابعه وهو يقول مبتسما برضا:

- وأنا أعشق هذا التراب الذي تخطين عليه....

- لكنني منهكة، بداخلي عقد سنين، أشعر أنني قليلة بجوارك.. تستحق من هي أفضـ.....

يضع يده على فمها قائلا:

- سأمسح جراحك كلها عندما تسنح لي فرصة أن ألمس قلبك بيدي..

يقبل يديها بخشوع وهو يعتذر بأسف شديد...

- فيم تعتذر؟

- على كل لحظة مرت بك ولم أكن فيها بجانبك..

أحست أنها ستجهش بالبكاء.. أسرعت بأخذ يديها من فمه ويده وأدارت له ظهرها كي لا يرى دموعها فيحزن بسببها... مسحتها على الفور ثم واجهته مستطردة برنة قوية:

- كل ما أتمناه أن نكمل هنا.. بلادنا.. لم نتركها لهم بتلك السهولة؟

- يا ليت يا ملك، ياليت الأمر سهلا، إن أمضيت عمري هنا سينتهي الحال بي إلى السجن المؤبد أو الجنون.. سأذهب للذين يقدرون.. سنذهب أقصد... ثم نعود أقوى وحينها.. لن نتركها لهم أبدًا.

- وأنا معك أينما ستكون...

تمت بحمد الله

obeikan.com

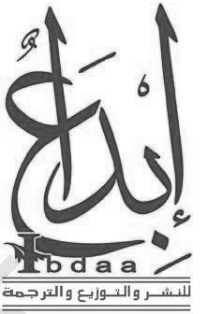

للاطلاع على أحدث إصدارات مؤسسة إبداع

يرجى زيارة الموقع الإلكتروني

www.prints.ibda3-tp.com

obeikan.com